

أحمد الزين

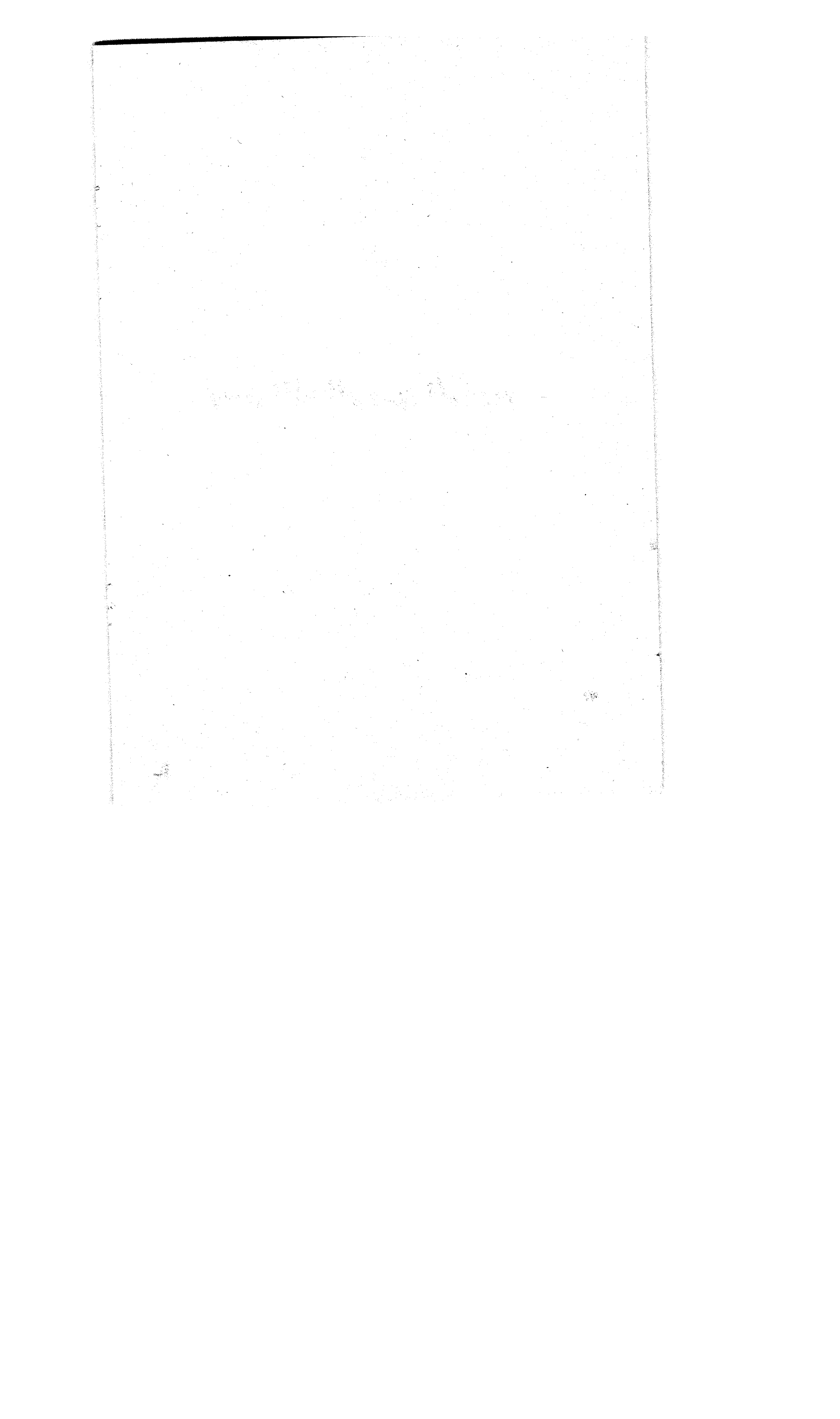
بين الشعر والنقد

الدكتور
طلعت صبح السيد

الطبعة الأولى

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م

بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

أحمد الزين علم من أعلام الأدب الحديث، رعاه الأزهر الشريف بعلمه وعلمائه ، وقد شغف بالنظم منذ كان طالباً فيه، وكما اتصلت معرفته بالشعر اتصلت بالنقد أيضا ، فلا يكاد يخلو عمل من أعماله من نظرات نقدية تفصح عن ذوقه الأدبى ، وتدل على واسع علمه فى طرق النقد .

والحق أننا وجدنا كثيرا من نقاد الشعر [١] فى هذا العصر يتناولون بالدراسة والنقد أدباء لايزالون فى خطواتهم الأولى ، ويتركون أحمد الزين ، وما كان لهم أن يتركوه وقد قرأوا آثاره الرائعة فى مجلة الرسالة أيام أن كانوا فى دور التكوين .

وقد استقر فى أذهان الباحثين أن الزين شاعر ناقد ، وكتبت فى ذلك بعض البحوث والمقالات الجادة المفيدة ، التى تختلف كثرة وقلة، واتجاها ومنهاجا، ومن هذه الدراسات :

١- مقال عنوانه (شعراء الأزهر - أحمد الزين) لفضيلة الأستاذالشيخ عبد الجواد رمضان [٢].

---

(١) ومن هؤلاء على سبيل المثال : الأستاذ عمر الدسوقى ، والدكتور محمد مندور ، والأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتى .

(٢) مجلة الأزهر (المجلد التاسع) عدد محرم ١٣٦٧ هـ ص ٥١٧.

٢- فصل بعنوان (الشاعر المكفوف أحمد الزين) للدكتور أحمد الشرباصي، ضمن دراسة له عنوانها " في عالم المكفوفين "[1].

٣- دراسة بعنوان (المجتمع في شعر أحمد الزين) للأستاذ عبد الرحمن خليل إبراهيم [2].

٤- فصل بعنوان (الغزل في شعر الزين) للدكتور محمد رجب البيومي ، ضمن دراسة له في كتابه " نظرات أدبية " [3].

٥- فصل بعنوان (أحمد الزين) للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، ضمن دراسة له في كتابه " دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه " [4].

٦- مقال بعنوان (أحمد الزين شاعرا) للدكتور محمود محمد لبدة [5].

---

(١) انظره ص ٢٠٢ . مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٧٥ هـ ١٩٥٦م.

(٢) طبعة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، القاهرة ١٣٨٣ هـ ١٩٦٤م.

(٣) (الجزء الثالث) ص ١٠٥ . مطبعة زهران ، القاهرة ١٣٩١ هـ ١٩٧١م.

(٤) طبعة دار الطباعة المحمدية بالأزهر ، ونشر مكتبة الأزهر ١٩٧٤م ص ١٩٦.

(٥) مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة ، العدد الثالث ، جمادى الأولى ١٤٠٢ هـ مارس ١٩٨٢م ص ١٤١.

وقد تبينت من مراجعتى لهذه الدراسات أنها تتبعت فى معظمها خطا الشاعر، ورصدت كثيرا عن حياته وسلوكه وإنتاجه ، وألقت الضوء على ماقاله من شعر ، وحاولت وضعه فى مكانته بين شعراء عصره .

وقد أشبع الحديث عن الزين الناقد الدكتور محمد رجب البيومى ، وتطرق إلى قضايا لم يذكرها سابقوه [١] ، مما أتاح لى أن أتوسع كثيرا فى نقد الزين ، مجتهدا أن ألم بما استطعت الحصول عليه من الدوريات المختلفة فى عهده .

وإلى جانب كل هذه الدراسات التى مرت يمكننا أن نقول إن هناك ظواهر أخرى هامة فى تراث الزين (الشعرى والنقدى)تستحق التحليل ، والتوقف لمزيد من التأمل والمعالجة ، ومن هنا كان سعى هذه الدراسة إلى المشاركة الموضوعية فى الكشف عن جهود هذا الرائد فى الشعر والنقد، وتسليط الضوء على اجتهاداته فى النقد الأدبى، والدور الذى قام به فى رسم خطة للنقد والناقد، لعلنا نزيد - بذلك - من وضوح صورة الزين ، ونكشف الكثير من محاولاته النقدية ، ومظاهر النقد الأدبى عنده ، وقيمه التى نستخلصها من خلال هذه المحاولات .

---

(١) انظر : دراسات أدبية : ١٩٦/١ . مطبعة السعادة ، القاهرة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م ، وانظر كذلك : نظرات أدبية : ٩٦/٣.

ومن ثم يتسنى لنا الوقوف على مقوماته الشخصية بصورة مكتملة ، فى دراسة وافية مستقصية لشعره ونقده ، مما يوسع مجال الدرس والبحث ، ويفرض مزيدا من الحوار بين الدارسين .

ولا نكون مغالين إذا قلنا إن الناظر فى آثار الزين الشعرية والنقدية سيجد أنها جديرة بدراسة موضوعية ، تتناول موضوعاته الشعرية (التقليدية منها والتجديدية) وما فى هذه الموضوعات من قيم وملامح فنية تميز بها شعره ، وتلقى الضوء على المنابع التى استمد منها معانيه وصوره ، كما تبين اجتهاداته وما كان يصبو إليه ويبتغى تحقيقه فى مجال النقد الأدبى .

وتضم هذه الدراسة تمهيدا وفصلين :

تحدثت فى التمهيد عن أهم التيارات السياسية ، والاجتماعية ، والفكرية ، التى كان لها صدى فى شعره . وفيه تحدثت كذلك عن حياة الزين ، ونشأته ، ومكانته بين شعراء عصره ، وآثاره ، ملتمسا صدى كل ذلك فى شعره .

أما الفصل الأول فقد جعلته عن الزين الشاعر ، وفيه تناولت بالدراسة والتحليل موضوعاته وفنون شعره ، وبينت الموضوعات التقليدية ، كالغزل ، والوصف ، والرثاء ، ووضحت كيف اتجه فى هذه الموضوعات اتجاها ذاتيا يصور إحساسه وانفعال وجدانه .

كما بينت الموضوعات التجديدية ، وشمل ذلك الشعر الاجتماعى ، والشعر السياسى ، ونقد الكتب . وحاولت من خلال دراستى لهذه الأغراض أن أوضح كيف عاش الشاعر عصره ، وكيف أعلن عن رأيه فى القضايا الفكرية التى كانت تشغل هذا العصر .

وحاولت كذلك أن أستخلص الظواهر الفنية التى يتميز بها شعره، وفصلت ذلك وعللت له تعليلا مستمدا من دراسة حياة الشاعر وشعره.

هذا وكان للزين اهتمام خاص بالأدب المعاصر وعلى وجه الخصوص الشعر، وقد دفعه ذلك إلى كتابة مقالاته النقدية المتعددة، ولم يفته أن ينظم شعرا نقديا يترجم فيه عن آرائه النقدية ، ولهذا جعلت الفصل الثانى دراسة لنقده.

وقد سجلت فى هذا الفصل ما كان للزين من اجتهادات فى مجال النقد الأدبى، تدل من ناحية على ثاقب فكره ، وخصوبة ذهنه، وتكشف من ناحية أخرى عن حاسته النقدية، وخبرته بمواطن التأثير والتأثر .

كما ناقشت فى هذا الفصل ماحشده الزين فى تراثه النقدى من آراء فى شعراء عصره وكتابه، وماسجل فى ثنايا ذلك كله من نظرات ، وانتفعت بذلك فى دراسة رأيه فى التجديد الشعرى.

والحق أننى قد أفدت من كل ما كتب حول الزين من قريب أو بعيد ، كما أفدت كذلك من الدراسات النقدية التى تناولت أدبنا العربى الحديث بالتحليل والتفسير.

ولا أستطيع أن أغفل المجلات التى تناولت الزين، أو جانبا من جوانبه، وقد وقفت بصفة خاصة عند مجلات (الأزهر ، والثقافة، والرسالة)، وجمعت منها كل ما اتصل بالشاعر من أخبار، وكل مايدور حول شعره ونقده .

وأفدت كذلك من جانب هام وخطير لم أغفله ، وهو المصادر الحية من الأدباء والكتاب الذين قرب عهدهم بنشأة الزين ، وتعرفوا على أحواله ، وما كابده فى حياته من محن ، وما اعترضه من عقبات ، كذلك اتصلت ببعض أقاربه فى مسقط رأسه (ميت نابت) حيث البيئة الأولى التى ألهمت وجدانه .

وإنى لأسهم بهذه الدراسة النقدية المتواضعة فى تكريم عالم من علماء الأزهر الشريف، وعلم من أعلام الفكر والأدب الحديث ، وشاعر مطبوع من شعرائه فى إنتاجه الأدبى (الشعر والنقد) ، وأرجو أن يقف القارئ على مقدار ما أسداه الأديب المكفوف (أحمد الزين) إلى الحياة الأدبية ، على الرغم مما اعترضه فى حياته من صعاب وعقبات .

وأمل أن أوفق لتحقيق الغاية ..

والله الموفق وهو الهادى إلى سواء السبيل ..

المنصورة فى : شعبان ١٤١٢ هـ — فبراير ١٩٩٢م

الدكتور
طلعت صبح السيد

مدخل تمهيدي

أولا : تيارات سياسية واجتماعية وفكرية:

عاش الزين فى فترة متميزة من تاريخ مصر ، وهى فترة عانت مصر فيها من استبداد المحتل الأجنبى الذى امتدت يده إلى كل مظاهر الحياة تبعد عن طريقها كل مايشعر المصريين بكيانهم ، مما كان له أثر كبير فى إبعاد مصر بل فى قطعها عن أسباب النهضة والرقى (١).

وعلى الرغم مما كانت البلاد تعانيه من ضعف وتفكك فإنها لم تستسلم للمحتل الأجنبى ولم تلق إليه القياد ، فكثيرا ما أعلن أبناؤها الوطنيون الثورة ، وحاولوا الجهاد والكفاح من أجل استرداد حقوقهم فى الحرية والاستقلال(٢) .

وإلى جانب مآسى الاحتلال وآثامه كانت سياسته تقضى أن يحدث من وقت لآخر صراع حزبى ، وهذا الصراع كان مرآة لصراع عنيف بين القصر والإنجليز وأتباعهم من جهة والقوى الوطنية من جهة أخرى، وقد حاول القصر والإنجليز محاولات جادة من أجل

---

(١) انظر : تاريخ الأدب العربى ، أحمد حسن الزيات ص ٤١٨ . مطبعة الرسالة الطبعة الثالثة والعشرون .

(٢) انظر ثورة سنة ١٩١٩ ، عبد الرحمن الرافعى : ١/ ١٧٠ ومابعدها ، ٢/ ١٠ ومابعدها ، طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥م.

إشعال هذا الصراع الحزبى ، وجعل الدستور والبرلمان ملهاة للشعب، إلا أن الروح الوطنية في الشعب كانت يقظة ، وظلت تترصد هذه المؤامرات ، وتطلب الاستقلال وتسعى لتحقيقه [١].

وجملة القول إن كل أحداث مصر السياسية فى تلك الفترة المريرة من حياتها ، لتكشف عما تعرض له شعبها من استبداد سياسى جعله يتقلب بين نهوض وتعثر ، وتختلط فى تقديره معايير الأمور. وقد سجل الشعراء كل هذه الأحداث تصويرا صادقا ، كما صوروا ما عاناه الشعب فى هذه الفترة من تعذيب وإرهاق، وكانت قصائدهم صرخات مزمجرة كلما أصيبت قضية البلاد بما يؤدى إلى الفرقة والخلاف والتناحر وتشتت الشمل .

وإذا ما اجتزنا الحديث عن الحياة السياسية ودلفنا إلى الحديث عن الحياة الاجتماعية رأينا أن السياسة الاستعمارية التى تقر الأوضاع الاجتماعية السيئة قد ساعدت إلى حد كبير على تفشى الأمراض والآفات الاجتماعية ،وهذا هو السبب الرئيسى فيما عانته البلاد من ضعف ، وما أصيبت به من تخلف ، وما رسفت فيه من أغلال .

---

(١) انظر : فى أعقاب الثورة المصرية (بجزئيه) لعبد الرحمن الرافعى .

هذا وقد ظهرت دعوات إصلاحية فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، واتسعت هذه الدعوات إبان ثورة ١٩١٩ ، ونتيجة لهذا أخذت طبقات المجتمع تحت تأثير الثورة تسلك مرحلة جديدة من مراحل العمل والنهوض[١].

والذى لاشك فيه أنه كان للحركات الفكرية والدعوات الإصلاحية أثر كبير فى إشعال الروح الوطنية، كما كان لها أثر لابأس به فى تطور الحياة الاجتماعية والفكرية فى مصر ، فقد تألق عدد كبير من الشعراء ، وأخذوايدعون إلى المثل العليا ومحاربة الاستغلال والاستعباد . ومع ذلك يمكننا أن نقول إن الظروف السياسية التى كانت تسيطر على مصر لم تترك هذه الحركات وشأنها ، بل قيدتها وحدت من انطلاقها إلى حد ما .

هذا ولايجب أن نغفل تلك النهضة الأدبية الكبرى والتى كانت امتدادا لبعث البارودى، فلقد كان لها أثر لاينكر فى البعث الفكرى والأدبى معا ، وقد امتد هذا البعث وشمل طبقات عديدة من الشعراء بعد موت البارودى ومن بينهم : محمد عبد المطلب ، وحافظ إبراهيم ، وأحمد شوقى ، وأحمد محرم ،وأحمد الكاشف ، وأحمد الزين ، وغيرهم . فقد ساروا جميعا على الدرب نفسه الذى سار فيه ، وعبوا من معين الشعر العربى القديم ، وأخذوا ينظمون فى الأغراض الوطنية والقومية والاجتماعية ، كما أخذوا يتأنقون فى أسلوب القصيدة ويعطونها كل مالديهم من قيم فنية وفكرية .

---

(١) انظر ثورة سنة ١٩١٩ ، للرافعى : ٢/ ٢٦٠ ، ٢٦١ .

والحق أن هذه الحركة التقليدية كانت تمهيدا لحركة جديدة ظهرت تصارعها وتحاول تحطيمها، وكان من أشهر شعراء هذه الحركة التجديدية الشاعر خليل مطران ، الذى طالب بحرية الفن واستقلاله عن الصناعة الزخرفية ، وطرق الجوانب الإنسانية إلى جانب العواطف الذاتية .

ثم مدرسة الجيل الجديد (جماعة الديوان) التى دعا أصحابها إلى العناية بشعر الوجدان ، واهتموا بوحدة القصيدة ، وجعلوا للشعر مقاييس منها أنه قيمة إنسانية ، وأنه تعبير عن نفس صاحبه، وأن القصيدة بنية حية .

وحدث من احتكاك حركة التقليد مع حركة جماعة الديوان أن انبثقت حركة شعرية جديدة تبلورت فى حركة " أبولو " التى كانت امتدادا للرومانسية وللشاعر خليل مطران .

هذه لمحة خاطفة عن التيارات السياسية والاجتماعية والفكرية التى كانت تموج بها مصر ، والتى كان لها أبرز الأثر فى حياتها السياسية فى الفترة التى عاشها أحمد الزين وبخاصة بعد الحرب الأولى، وقد وجدت هذه الأحداث جميعها استجابة قوية لدى الشعراء، فألفوا فيها أشعارهم ، بحيث يستطيع من يؤرخ لمصر أن يجد صدى هذه الأحداث فى الشعر ، أو أن يجد طرفا منها .

ثانيا : حياة الزين :

ولد الشاعر أحمد الزين فى قرية " ميت ناجى " مركز طلخا محافظة الدقهلية ، في بيت متوسط الحال ، والتحق بكتاب القرية ، وحفظ فيه القرآن الكريم ، ثم التحق بالأزهر الشريف ونال شهادة العالمية منه عام ١٩٢٥م (١).

وكانت لديه حافظة قوية واعية ، وذاكرة نادرة تجعله يحفظ كل مايسمع (٢) وهذه الموهبة هى السر فى نبوغه فى الشعر فى سن مبكرة ، حيث أصدر عام ١٩١٧م ديوانه " القطوف الدانية " الذى جمع فيه طائفة من شعر الشباب، ثم أصدر عام ١٩١٨م كتابا اسمه " قلائد الحكمة " وقد كتب مقدمته الأستاذ محمد فريد وجدى ، وقرظه الشاعر إسماعيل صبرى (٣).

وقد تأثر الزين بأزهريته أعظم الأثر ، وتطبع بالطابع الأزهرى بحكم نشأته وثقافته وبيئته ، فاجتمعت فيه الخصائص الأزهرية ، وتكون مزاجه من مجموعها ، وتمسك بمبادئ الدين والأخلاق ، وحاول أن يأخذ نفسه والمحيطين به بما يؤمن به .

---

(١) مجلة الأزهر، المحرم عام ١٣٦٧هـ (المجلد التاسع عشر) ص ٥٢١.

(٢) دراسات أدبية ، للدكتور محمد رجب البيومى : ١٩٦/١. مطبعة السعادة ، القاهرة ١٤٠٢هـ ،١٩٨٢م.

(٣) انظر فى عالم المكفوفين ص ٢٠٦.، وانظر ديوان إسماعيل صبرى ص ٨٨ .مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م.

وكان لهذه التربية اتجاه واضح في شعره وأدبه ، فأجاد في نواح متعددة من شعره ، في الأخلاق والاجتماع ، وأخذ نفسه بأخلاق الآباء ، والكرامة ، والغيرة على الوطن، والتفانى في الذود عنه، وتألم كثيرا إذا رأى موازين الأمور مختلة ، وقيم الناس لاتستند إلى أساس ثابت .

وقد كف بصر الزين وهو فى سن مبكرة بسبب مرض موروث من آبائه [١] وقد حدث معاصروه بأن إصابته بالعمى كان لها فى نفسه وأدبه أثر ذو بال ، وذكروا أنه كان يضيق بكف البصر ، ويتألم ممن يعرف بهذا النقص ، وكانت به رغبة شديدة إلى العزلة والانفراد بنفسه ، حتى لايشعر الناس بأنه كفيف البصر[٢].

وقد عمل الزين بعد تخرجه فى المحاماة الشرعية ، ثم اضطرته أعباء الحياة إلى أن يترك المحاماة ليعمل مصححا بالقسم الأدبى فى دار الكتب المصرية .

---

(١) فى عالم المكفوفين ص ٢٠٣ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

وقد حدثت بينه وبين رئيسه فى هذا القسم خصومات ، ووقعت بينهما مشاجرات [(١)] ، مما سبب له متاعب كثيرة ، كما حيكت مؤامرة لإخراجه من دار الكتب مرة ، لولا أن توسط له أمير الشعراء أحمد شوقى [(٢)] الذى كان دائم الحب له والثناء عليه.

وكان الزين مسرفا فى الاعتداد بنفسه ، لايقبل الهوان، ولايتراجع فى رأى يراه وإن ناله من تعب الحياه ومشقاتها مانالها ، وكان سريع الغضب إذا تطاول عليه أحد، وقد جر ذلك عليه متاعب كثيرة [(٣)].

ومع ذلك كله فالزين رجل من طراز خاص، ومزاج خاص، وهو شاعر مشبوب العاطفة وهو بجانب ذلك متعدد النواحى الطيبة ، وكان ظريفا إلى أقصى حدود الظرف ، بارعا فى إرسال النكتة، وله نكت ودعابات يقولها أو ينقلها [(٤)].

---

(١) انظر فى عالم المكفوفين ، للدكتور أحمد الشرباصى ص ٢٠٢، ٢٠٤.

(٢) انظر حياة شوقى ، أحمد محفوظ ص ١٣٩، ١٤٠ ، مطبعة مصر ، بدون تاريخ .

(٣) انظر فى عالم المكفوفين ص ٢٠٢ ، ٢٠٤.

(٤) انظر مقالا للأستاذ عبد الفتاح البارودى بعنوان " أحمد الزين الإنسان " (مجلة الرسالة عدد ٨٠١ فى ١٩٤٨/١١/٨م ص ١٢٦١). وانظر كذلك فى عالم المكفوفين ص ٢٠٤، ٢٠٥.

لقد دعي ذات مرة لسماع مغن سيئ الصوت ، فنظم في هذه المناسبة أبياتا يقول فيها [١] :

حمار لايمل من النهيــــق	يضيق به التجلد أى ضيــق
مغن يجلب السلوى ويفنى	بقايا الشوق فى قلب المشــوق
منى الأوتار لو أمست سياطا	يصب بها على الجلد الصفيــق
بطانته - حماك الله - رهط	كأن صياحهم جرس الحريــق
دعانى للسماع رفيق ســوء	فقلت عرفت عذرى يارفيقــى
وكانت ليلة ياليت أنــى	دفعت بها لقطاع الطريــق
وأوسعنا مغنيها عنــاء	يزيل السكر من كأس الرحيق
جزى الله المغنى كل خيــر	عرفت به عدوى من صديقــى

أما علاقته بالأدباء فلقدكان على صلة بشيوخهم وكهولهم ، وكانت تربطه علاقات مشبعة بالصفاء والوفاء بالكثيرين منهم [٢].

كذلك اتصل بالشاعر إسماعيل صبرى ، وأعجب أيما إعجاب بشاعريته ، وكان جليسه وصديقه ، وقد ربطته به صداقة حميمة دامت قرابة ثلاث عشرة سنة [٣]. ومع أنى لم أدرس شعر صبرى دراسة وافية مستقصية تجيز لى الحكم عليه ، بيد أن ماقرأته له أستطيع معه أن أبدى رأيا فيه فى معرض المقارنة بينه وبين شعر الزين .

---

(١) الديوان ص ٨٧ . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٢هـ ١٩٥٢م.

(٢) انظر مجلة الرسالة عدد ٨٠١ فى ١٩٤٨/١١/٨ ص ١٢٦٢.

(٣) مقدمة ديوان إسماعيل صبرى، لأحمد الزين ص ٢٧ .

لقد عرفنا مدى تلازمهما ، وكانت النتيجة الحتمية للصداقة التى ربطت بينهما أن ينهلا من ورد واحد فى ثقافتهما، فلا غرو أن جاءت آراء الزين فى الأدب والنقد لاتتناقض مع آراء صبرى ، ولاتختلف معها إلا بقدر اختلاف المزاج والشخصية ، ولعل فى المقدمة التى كتبها الزين لديوان صبرى مايدل على أثر هذه الصداقة وقوتها فى نفسه .

والذى لاشك فيه أن هذه الصلة كانت ذات أثر بعيد فى شاعرية الزين ، فكان يرى فى أستاذه ، وفى طريقته فى نظم الشعر والاقتصار فيه على الصادق من خلجات الحس ، والدقيق من نوازع الوجدان- " المثل " الجدير بأن يحتذى فى نظم الشعر، ولذلك جاء على طرازه [(١)] وطبع على طابعه فى الإقلال الموجز ، وجاءت مقطوعاته الغزلية نمطا من مقطوعات أستاذه التى تعد نمطا رائعا من بارع الشعر.

هذه صورة للزين فى عالم الصداقة، تلك الصداقة التى أثرت فى فنه ، وجعلته يقارن بصبرى فى الأدب .

---

(١) انظر مقالا للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف عنوانه (ديوان صبرى باشا لمحقق الأستاذ أحمد الزين) (الرسالة عدد ٢٨٨ فى ١٨ ذى القعدة سنة ١٣٥٧هـ ٩ يناير سنة ١٩٣٩م ص ٩٢)

ولقد مات صبرى فبكاه الزين ، وتحدث عن شعره حديثا يصدق على شعرالزين نفسه ، ولم يكن رثاؤه له رثاء تقليديا يقف عند حد تعداد مناقب الميت ، واستمطار الغيث لقبره ، ولكنه رثاء بالغ الحسرة ، والحق أن الزين قد رثى كثيرين ،وكان صادق العاطفة فى رثائه، ومع ذلك فرثاؤه لصبرى له طابع خاص ، وهو نموذج وحده فى العاطفة .

وهذا مطلع قصيدته فى رثائه [1]:

خطب رمى ركن العزاء فصدعا
وأصاب من حبل الرجاء المقطعـــا

أهدى إلى القلب التلهف والجوى
وإلى الجفون سهادها والأدمعـــا

عم الأسى فالناس فيه مفجــع
شاك يساجل فى الشكاة مفجعـــا

كيف العزاء ولست أبصر بهجة
فى الدهر إلا ودعت مذ ودعـــا

وبشاشة الدنيا حوتها حفــرة
فى الأرض قد خطت لصبرى مضجعا

أما عن مكانة الزين فهو شاعر مشهور، وهو من أعرق الشعراء المحدثين شاعرية ، كما كان راوية حافظا، وكان يحفظ الكثير من الشعر الجيد ، وإنه ليذكرنا بالفحول من شعـراء العصر

---

(١) الديوان ص ١١٢.

العباسى وما كان يروى عن محفوظاتهم ومروياتهم ، وقد روى للشاعر أحمد شوقى ، وكان شوقى يعلم هذا عنه [١].

وقد تحدث عنه الأستاذ عبد الفتاح البارودى فقال :

" يكفى أن نقول إنه كان فى مقدمة " الرواة " فى العصر الحديث، بل ربما يكون قد انتهى بموته عهد " الرواية الأدبية " [٢].

ومع أنه مكفوف البصر فإن رجاحة عقله ، وذكاءه النادر قد جعله مصححا ماهرا، فكف بصره لم يمنعه من مهمة التصحيح والتفوق فيها ، وهذا عمل لايتحقق كاملا إلا لمن وهب نعمة البصر، ولكن الغريب أن الزين تفوق فيه على غيره من المبصرين ، ولهذا عهدت إليه دار الكتب تصحيح كتاب " نهاية الأرب " و " ديوان الهذليين " وشاركه الناشرون فى نشر الكتب [٣].

وهذا هو الأستاذ أحمدأمين الذى شارك الزين فترة طويلة فى نشر كتاب " الإمتاع والمؤانسة " و " وديوان حافظ إبراهيم" وغيرهما، يقول عن الزين [٤] :

---

(١) حياة أحمد شوقى . لأحمد محفوظ ص ١٣٩.

(٢) الرسالة عدد ٨٠١ فى ٨ نوفمبر سنة ١٩٤٨م ص ١٢٦١ (السنة السادسة عشرة) .

(٣) انظر مقدمة ديوان أحمد الزين للأستاذ أحمد أمين ج . د .

(٤) مقدمة ديوان الزين ج .

" وكان رحمه الله يحمل عنى أكبر العبء ، وكان ذهنه لاحظا فاحصا. ولست أنسى يوما -وقفنا فى عبارة نحو أسبوعين لم نعرف تصحيحها ، وهى عبارة أبى حيان عن ابن مسكويه ، بأنه كان غبيا بين أنبياء ، فوقفنا فيها حتى جاء الزين يوما فرحا وقال إنى وجدت حلها ، وهى أنه كان عيبا بين أبيناء ، فشكرته على اكتشافه وهنأته بحسن توفيقه ، ومثل هذا عشرات من الكلمات ".

ويقول الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف تحت عنوان " ديوان صبرى باشا لتحقيق الأستاذ أحمد الزين " (١).

" ولقد جهدت أن أحصى شيئا على صديقنا الزين أغبطه به فغاظنى هو ببراعته وقدرته ".

والحق أنه لم تكد شاعرية الزين تعلن عن نفسها حتى طار ذكره على الألسنة وهو بعد لم يزل فى مقتبل الشباب، وكان كبار الأدباء والشعراء فى عصره يعرفون له مكانته ومنزلته ، ويقدرون شاعريته وفنه ، ويهتمون بآرائه فى الشعر والنقد .

ومن آثار هذا التقدير ماحدثنا به أحد معاصريه وهو فضيلة الشيخ عبد الجواد رمضان عن صلة الزين بشيخ الشعراء إسماعيل صبرى ، فيذكر أبياتا له قرظ بها كتاب الزين " قلائد الحكمة" الذى ألفه وهو طالب فى سن العشرين .

---

(١) الرسالة عدد ٢٨٨ فى ٩ يناير سنة ١٩٣٩م ص ٩٢.

وهذه هى الأبيات (١)

إذا كنت - يازين - زين الأدب
فإن كتابك زين الكتــــب

قلائد ، طوقت جيد البيـــان
بهن ، وحليت جيد العـــرب

خلائق تزرى بنفح الريــــاض
إذا ضحكت من بكاء السحب

وما المرء إلا خلاق كــــريم
وليس بما قد حوى من نشب

ويحدثنا كذلك أن الأستاذ العلامة محمد فريد وجدى قدم له بمقدمة فى فلسفة الأخلاق جاء فى ختامها (٢) :

" هذا غيض من فيض أسوقه بين يدى ما أنا فيه الساعة، من النظر فى أرجوزة الأخلاق الموسومة بقلائد الحكمة للشاعر المطبوع أحمد الزين ، فقد جمعت فى أقل من ألف بيت ، ماتشتت من شمل الكلم النوابغ ، وتفرق من درر الحكم البوالغ ... ولاغرو ، فقد نبغ الأستاذ الزين عبقريا بطبيعته ، كبيرا على حداثته ، مبرزا وهو فى سن العشرين ، على فحول المعرقين ".

---

(١) مجلة الأزهر ، المحرم عام ١٣٦٧ هـ ص ٥١٧ .

(٢) مجلة الأزهر ، العدد نفسه والصفحة نفسها .

وهذه الطاقة الشاعرية الفذة التى جعلت الزين فى الصف الأول من شعراء عصره فى حين أنه لم يتجاوز بعد مرحلة الشباب، هي التى جعلت الشيخ عبد الجواد رمضان يقول عنه [١].

" وما أقيمت حفلة رثاء لعظيم من عظماء مصر ، إلا كان مكانه فيها بجانب شوقى وحافظ والمطران ، ينسى غيره ويذكر ، ويرد غيـره ويطلب ، وهو فى كل أولئك مطمح الأنظار ، وزين الحفلات ! ".

ويكفيه فخرا أنه زاحم كبار شعراء عصره فى الحفلة التأبينية التى أقيمت للشاعر إسماعيل صبرى ، فلقد أنشد فيها حافظ ، وشوقى ، وعبد المطلب ، والجارم ، ومطران ، والهراوى ، وغيرهم ، ومع أن الزين كان أصغرهم سنا نحن نجده يزاحمهم وينشد مرثيته الحارة التى أشرنا إليها قبل .

ولعل أصدق ما يوضح لنا منزلة الزين ومكانته فى نفوس معاصريه أنه احتل مكان التوجيه فى سن مبكرة وخاصة فى الشعر والنقد ،وذلك بفضل إلمامه بالأدب العربى، ووقوفه على دقائقه ، ومعرفته باتجاهاته فى عصوره المختلفة ، ولذلك فما كاد اسمه يلمع في سماء الشعر والأدب حتى تسابقت الصحف والمجلات تتلقف قصائده ومقالاته ، وغصت جميعها بقصائده المبدعة يضرب بها فى كل فن ، ويجول فى كل ميدان .

---

(١) مجلة الأزهر ، العدد نفسه ص ٥٢٣.

ونحن نلمس هذه الحقيقة واضحة حينما نقرأ مقالاته التى نشرها فى مجلتى (الرسالة والثقافة) فحين نقرأ هذه المقالات نرى أنفسنا أمام سيل متدفق من ذاكرة الزين ، وتبهرنا آراؤه الواضحة فى كل مشكلة تعرض أو رأى يدور ، كما أننا لنبهر بذهنه اللماح الذى يدرك مواطن الحسن والجمال .

هذا وقد أسهم الزين في توجيه الحركة الأدبية ، وشارك فى النقد الأدبى مشاركة تشهد على رسوخ قدمه وتفوقه . وما أظن أن أحدا من دراسى الأدب يجهل قيمته الأدبية ، ويكفى أن نقول إنه قد خلف تراثا ضخما يشهد على علو كعبه .

فقد أصدر ديوانا شعريا عام ١٩١٧م سماه " القطوف الدانية" ، وهو باكورة شعره ، وقد جمع فيه طائفة من شعره في سن الشباب ، وقد ختمها بتخميسه لمعلقة أمير الشعر الجاهلى "امرئ القيس" . والحق أنه كان لصنيع الزين صدى بعيد المدى فى آفاق الأزهر وخارجه .

يقول الشيخ عبد الجواد رمضان فى ذلك [١] :

" فأما تخميس المعلقة ، فقد أحدث - كما أسلفنا - ضجة كان بها خليقا ، فإن القرة تشيع فى أطرافه، ويضاعف الإعجاب بـــه

---

(١) مجلة الأزهر ، العدد نفسه ص ٥٢١.

حداثة ناظمه ، مما طار بذكره ومهد له من مجالس العظماء في الأزهر وفي غير الأزهر، وأثار في نفوس كثيرين من لداته الحسد له والغيرة منه ".

كما أصدر " قلائد الحكمة " عام ١٩١٨م ، وقد كتب مقدمة هذا الكتاب الأستاذ محمد فريد وجدي ، وقرظه شيخ الشعراء إسماعيل صبري، كما سبق القول .

وقد أمرت لجنة التأليف والترجمة والنشر بطبع ديوانه على نفقتها ، فطبع عام ١٣٧٢هـ ١٩٥٢م ، وخصصت مايجيء من هذا الديوان لأسرة الشاعر [١] .

وللزين في الشعر آراء ونظرات ،وقد اتخذ الصحف والمجلات ميدانا يعرض فيه كل تلك الآراء ، وهي تنطوي على مطالعات ونظرات عميقة تنهض دليلا حيا على إبداع ذهنه وتألقه .

وأول ماعرفنا له في هذا المجال مقالاته النقدية المتتابعة في مجلة " الرسالة " [٢] بعنوان " النقد والمثال " ، وقد تتابعت هذه المقالات في أعداد من المجلة المذكورة ، يضرب فيها الزين فـــــي

---

(١) في عالم المكفوفين ، للدكتور أحمد الشرباصي ص ٢٠٥ .

(٢) انظر المجلة (أعداد : ١١٤ الصادرة في ١٩٣٥/٩/٩م و ١١٨في ٧/١٠/ ١٩٣٥م ، ٢٠ في ١٩٣٥/١٠/٢١م، ١٢١ في ٢٨/١٠/ ١٩٣٥م و ١٢٤ في ١٩٣٥/١١/١٨م).

آفاق الشعر العربى ، ويمضى فى تسلسل عميق يتحدث عن مذهبه الشعرى فى قوة ولطف حس يدلان على ثقافة عميقة ، وإلمام شامل بالشعر العربى وتطوراته .

وله فضلاعن ذلك كله طائفة من الفصول الأدبية عن شعراء الديباجة، فى مجلة الرسالة بعنوان " أدب البارودى وشعره " [١] ، وفى مجلة " الثقافة " بعنوان " من أحسن مايروى " [٢] . وكلها تدل على جهوده الموفقة فى دفع حركة النقد الأدبى إلى الأمام .

وفوق هذا وذاك له قصائد نقدية نقد فيها شعراء العصر وكتابه [٣].

هذا ويكفى الزين أن يقال عنه إنه كان شارحا ، وضابطا، ومصححا ، وقد صحح وأخرج طائفة من الكتب القيمة مثل : "نهاية الأرب " و " ديوان الهذليين " و " الإمتاع والمؤانسة " و " العقد الفريد " ، وما إليها من أمهات الكتب . وصحح بمفرده ديوان الشاعر إسماعيل صبرى . كما صحح بالاشترك مع آخرين ديوان الشاعر حافظ إبراهيم .

---

(١) انظر المجلة (عدد ١٢٩ الصادر فى ١٢/٢٣ عام ١٩٣٥ وعدد ١٣٠ فى ٣٠ ديسمبر ١٩٣٥).

(٢) انظر مجلة الثقافة (عدد ٥٩ الصادر فى ١٣ /٢/سنة ١٩٤٠م وعدد ٦٣ الصادر فى ٣/١٢سنة ١٩٤٠م.

(٣) انظر الديوان ص ٣٤ ومجلة الهلال مارس ١٩٢٥م ص ٥٧٤.

ومن المؤلم أن أولاد الزين قد ماتوا جميعا فى طفولتهم [١] ، وبعد وفاة هولاء الأولاد رزقه الله سبحانه وتعالى بابن وحيد سماه " أسامة " وقد أصيب هذا الابن بمرض وراثى فى العين أيضا [٢]

وقد توفى الزين فى الخامس من نوفمبر عام ١٩٤٧م [٣] على إثر إصابته بمرض السرطان [٤]، وقد ترك أسرة مكونة من زوجته وابنه " أسامة " وبقيت هذه الأسرة فى ظروف معيشية صعبة دفعت ببعض أصدقاء الزين إلى أن يطلب إعفاء الابن الوحيد " أسامة " من المصروفات المدرسية [٥].

وقد حدثنى أحد أقارب الزين أن زوجته قد توفيت ، وأن ابنه أسامة قد توفى أيضا .

---

(١) الرسالة عدد ٨٠١ فى ١٩٤٨/١١/٨ م ص ١٢٦٣.

(٢) فى عالم المكفوفين ص ٢٠٣.

(٣) الرسالة عدد ٨٠١ فى ١٩٤٨/١١/٨م ص ١٢٦١.

(٤) فى عالم المكفوفين ص ٢٠٥ .

(٥) انظر الرسالة عدد ٨٠١ فى ١٩٤٨/١١/٨م ص ١٢٧٧ .

الفصل الأول

أحمد الزين الشاعر

يجدر بنا قبل أن نتناول شعر الزين بالدراسة أن نقول إنه لايحرص على الإطالة فى قصائده ، ولم يهتم بأن يكون فى عداد الشعراء المكثرين .

فهو شاعر مقل ، لايحفل بقرض الشعر ، ولكنه كان يستجيب فحسب لهواتف نفسه الصادقة . وفى ظنى أنه قد انتقل إليه أثر أستاذه إسماعيل صبرى الذى كان " مقلا شديد الإقلال " (١).

والدارس لشعر الزين يجد فيه اتجاهين رئيسيين :

الاتجاه الأول :

وهو اتجاه تقليدى ذاتى ، ويشمل : الغزل ، والوصف ، والمدح، والإخوانيات ، والرثاء ، وما إلى ذلك .

الاتجاه الثانى :

وهو اتجاه تجديدى موضوعى . ويتمثل هذا الاتجاه فى شعره الاجتماعى، وفى أبياته المنثورة فى ثنايا قصائده والتى يشير فيها لشئون المجتمع السياسية ، كما يتمثل فى نقد الكتب بما يتجلى فيه من قضايا فكرية وثقافية .

.....

---

(١) دراسات فى الأدب العربى الحديث ومدارسه، للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ص ٧٨ وانظر كذلك :" نظرات أدبية ، للدكتور محمد رجب البيومى : ١٠٥/٣.

ويبدو أن الزين لم يتحدث فى كلا الاتجاهين عن أمور خارجة عن دائرته الذاتية ، فلو تتبعناه لوجدنا أنه يتحدث عن ذات نفسه، ويمتزج بإحساسه ومشاعره امتزاج المؤثر بالأثر، مما يعطينا صورة حية عن مشاعره وأحاسيسه فى صدق وأصالة .

ويلاحظ أن الزين وإن تواردت - بسبب كثرة محفوظاته - بعض أفكاره ومعانيه مع الأفكار والمعانى التى تداولها الأقدمون فإن الدارس لشعره لايستطيع أن ينكر ذاتيته ، كما لايستطيع أن ينكر أنه قد أوتى حظا من الديباجة المشرقة . وفضلا عن ذلك كله فهو يصدر عن طبع سمح ، وشاعرية أصيلة وجدت الميدان الصحيح الذى تعبر فيه عن وجودها ، وتترجم عن أصالتها .

أولا : الأغراض التقليدية (الذاتية)

والحقيقة أن الناظر فى شعر الزين فى حقل الأغراض التقليدية ، يستطيع أن يقول إنها لم تسيطر على الشاعر سيطرة كاملة، ولم تستحوذ على قصائد ديوانه استحواذا تاما .

ولو تتبعنا الشاعر فى هذا الاتجاه لوجدناه فى غالب الأحيان يتحدث عن ذات نفسه، ويرتبط بإحساسه ومشاعره ، وفى ظنى أن هذا الاتجاه قد كشف الصورة الحقيقية لأطواء نفسه ، وما يعتلج فيها من خواطر ، ومايضطرم فيها من مشاعر .

وهذه هى الموضوعات :

(١) الغزل :

وحين نطوف بشعر الزين نرى أنه خص فصلا من ديوانه بشعر النسيب ، وجاء فيه بإحدى عشرة قصيدة، وكلها تدور حول ميول النفس ، وهياج الذكرى والحنين ، ونحن نستطيع أن نلمس فيها أصالة الزين ، وتميز شخصيته ، ومن هنا جاء شعره الغزلى نمطا رائعا من بارع الشعر.

وقد كثر حديث الشاعر عن العاطفة والحب، والذكرى، والطيف، والنسيم ، وسحر الحديث ، وحسبنا هنا أن نشير إلى أن الزين الذى ملأ شعره الغزلى كل مكان قد حاول أن يتنكر لغرامه ، وأن يحبس مابه أو يكتمه ، ولعله وقد رزق حساسية مفرطة قد دفع دفعا على كتمان غرامه .

ويمكن أن نقول إن ابتلاءه بكف البصر قد جعله فى صراع عنيف مع حبه، وهو السبب الرئيسى الذى جعله عاشقا محروما ، يقنع بالقليل ويرضى بأيسر اليسير ، يقول فى قصيدته " العهود المطولة " (١):

عللينا بالأمانى وابخلـــى	وعدينا بالتدانى وامطلـــى
وإذا لم تسعدى الشاكى بما	يرتجيه أسعدى بالأمـــــل
كم سألنا وقنعنا أننــــــا	نأمل البذل وإن لم تبذلـــى
ورضينا منك لو أجدى الرضا	بتمنى الوصل إن لم تصلــى
فاسأليه مرة ماسقمـــــــه	حسب من أسقمته أن تسألى

---

(١) الديوان ص ٥٥.

حسبه علمك عنه أنـــــه ... مـه الحب بداء معضل

حسبه الظن إذا لم ترقنـــى ... أنه حمل مالم يحمـــل

والدارس لغزل الزين يجد نفسه أمام ظاهرة تلفت النظر ، ذلك أن الشاعر قد تفجر ينبوع الهوى فى إحساسه ، فأخذ يشعر بالحنين للمرأة ، وبلغت عاطفته مجاهها قمتها من التدفق ، وقد طوف قلبه فى معارج الخيال يستلهم الرؤى ، ويناجى عرائس الأحلام، حتى جرى الغزل على لسانه شعرا ملتهب العاطفة صادق الإحساس .

ومن عجيب أن نراه وهو مكفوف البصر يقول فى المرأة كلاما مطربا جميلا لايتاح لغير المبصرين ، فهو يروعنا بتصويره لأنواع الابتسامات تلك التى لاتلمس ولاتسمع. إنه ينادى مثابة حبه فيقول(١):

يامنى النفس يا مثابة حبـــى ... ابسمى يبسم الرجاء بقلبـــى

أسفرى عن شعاع ثغرك يسفر ... لفؤادى نور من الحسن يصبى

وأضيئ ذاك السنا من ثنايـــا ... ك تضئ بالرجاء أحلام صـــب

ابسمى للصديق بسمة راض ... عن هواه ينيل قربا بقـــرب

ابسمى للوشاة بسمـــة زار ... ساخر بالوشاة غير عليـــى

ابسمى للمقيم بسمـــة آس ... أى طب فى سحرها أى طـــب

ابسمى للزمان بسمـــة لاه ... ليس يلوى على الزمان بعتب

ابسمى للحياة بسمـــة راج ... ينهب العيش بالمنى أى نهـــب

ابسمى ، كل ماترين جميـــل ... كل شئ يحلو بقلب المحـــب

---

(١) الديوان ص ٤٩ .

ابسمي للظلام يبسم بصبح   وابسمي للصباح بسمة عجب
ابسمي للرياض يبسم لك الزهـ   ـر ويكسى النبات نضرة خصب

والحق أننى لم أجد للزين فى هذا الباب ما استوقفنى قدر مااستوقفتنى هذه القصيدة وقد هالنى فيها ذلك الحشد الضخم من ألوان الابتسامات، وكيف أصاب الشاعر كبد الحقيقة فى وصفه وتصويره، ومن يقرأ أبيات القصيدة يلمس أن الزين صاحب قلب فنى فى محراب الجمال ، كما يلمس أنه كان محبا للفن والجمال فى حداثته .

ولعل هذه الظاهرة فى شعره تستوقفنا قليلا لنبحث عن سببها، وندرك سرها، وأظن أن ذلك لايعيينا حينما نرجع قليلا إلى نشأته وما كان له من صداقات، وكيف تأثر فى حياته تأثرا كبيرا بالشاعر إسماعيل صبرى ، الذى كانت " عاطفة الحب العامل الأكبر فى شاعريته " (١).

وللزين مقطوعة أخرى رقيقة بعنوان " القبلة الممنوعة " وهو يتحدث فيها عن لواعج نفسه ، وحرقة فؤاده، ونيران صدره ، وهى قصيدة ساحرة تبرز لنا حديث هواه وكأنه يبرد غليل قلبه بتصويره لوقدات الشوق، ولوافح الهوى، كما أنها ترينا مبلغ تفننه بالصور الشعرية الفتانة.

---

(١) مقدمة ديوان إسماعيل صبرى ، لأنطون الجميل ص ٢١.

إنه يقول فى مطلعها [١]:

ياغلة الصدر من حر الجوى زيدى
أبت شفاءك حتى بالمواعيـــد

سحرية الفم لو مست بقبلتهــا
فم العبى لحلت كل معقـــود

تكاد من رقة تغرى مقبلهــا
أن يحتسيها رحيقا غير مـوورود

قل للبخيلة جودى لاالقيت جـوى
إن كان يشفع لى قولى لها جودى

وساعة تحت أفياء الهوى سلفـت
ياساعة تحت أفياء الهوى عـودى

ماضر لو أنها فى قبلة سنحـت
منت بوعد وإن ضنت بموعـود

هل حاذرت حر شوقى حين ألثمها
أن تذبل الورد أنفاس بتصعيـد

رحماك لليائس المطول بقنعـه
من الوجود خيال غير موجـود

ظمآن لارشفات الماء صافيــة
تروى صداه ولاهنت العناقيــد

ويطول بنا الحديث لورحنا نستقصى كل ماقال الزين فى عواطفه الظامئة، وأمنيات فؤاده ، ومناجاة ليلاه ، ويستطيع الباحث

---

(١) الديوان ص ٦٣.

أن يلمس من وراء قصائده الغزلية اتجاها محددا يلتزمه الشاعر فى غزله ، فأشعاره ليست مجرد خطرات سريعة يمكن أن يقال فيها إنه دفع إليها لكى يشارك الشعراء فيما يذهبون إليه من قصائد الغزل، وأعتقد أن هذه القصائد ليست إلا استجابة لهواتف نفسه الصادقة ، وحساسيته المفرطة، ورصدا لأعمق أحاسيسه ونوازع وجدانه [١].

وقد رأيت فى شعر الزين الغزلى اهتماما واسعا بالنسيم ، ففى إحدى مقطوعاته نراه يعقد موازنة رائعة بين رقة النسيم ورقة صاحبته ، فيقول [٢]:

يانسيما أهدى إليها اشتياقى ... ماأبر النسيم بالعشـــــاق
يارفيقا كم حملوك رقيقـــا ... من منى عذبة ومن أشــواق
ورسولا حوى من اللطف مايلمـس فى القلب موضع الإشفـــاق
وأمينا على الهوى دون مايطـــويه تعبا الوشاة والسر بـــاق
بالله كيف لايحول سمومـــا ... بالذى فيه من جوى واحتراق
حامل النار كيف يبرد مســا ... أى واق منها لــــه أى واق
كم عيون رويت عنها فسحبت ... بليلا والفضل للأمـــــاق
وفؤاد حملت عنه خفوقــــا ... بالهوى فى فؤادك الخفــاق
سر إليها واحمل إلى شفتيها ... قبلة ثم لفها بعنـــــاق
لف جسما أرق منك وأصفـى ... أبدعت فيه قدرة الخــلاق

---

(١) انظر " نظرات أدبية " للدكتور رجب البيومى : ١٠٥/٣ ومابعدها .

(٢) الديوان ص ٥١ .

فيه لين النسيم واللطف لكــن   زاد حسنا عليه بالإشـــراق
ليت شعرى أى النسيمين أشهى   ضل فى ذاك منطــق الأذواق
متعة الحس عند ذاك وفى هذا   متاع الأرواح والأحـــداق

ونحن نلاحظ أن الزين قد تغزل هذه المرة ، فمزج بين الغزل والوصف، وذكر مايكون بين المحبين ، وهى الصورة التى أشار إليها فى بعض مقطوعاته الغزلية .

ولعل أبرز مظهر للبراعة فى غزل شاعرنا الرقيق هو هذا الاهتمام الواسع بأمر الحديث والاستماع، والعناية الخاصة بتتبع الأصوات والنغمات . ومن هذا اللون الطريف ماقاله فى قصيدة "سحر الحديث" وهى من طرائف الشعر الوجدانى المتصل بالوصف .

يقول (١):

ماغناء الراح قد ظلت سنينا   حدثينا تبعثى النشوة فينـــا
أسمعينا نبرات أخجلـــت   وتر العود حنانا وحنينـــــا

. . .

فتنة جل الذى أودعهـــا   فيك لاتدركها إلا ظنونـــــا
لك حبات القلوب انتظمـــت   طوقى جيدك منها والجبينـــا
أرسلى سحرك فى صوت إذا   ماسرى فى اليأس منى اليائسينا
صاغه الله من الرفق كمـــا   صاغ ظل الخلد والفيض المعينـــا
ذاب حتى كاد يخفى رقة   لست أدرى أرنينا أم أنينـــا
حدثينا وأعيدى مامضـــى   من حديث واحسبى أنا نسينـــا

---

(١) الديوان ص ٥٣ ، ٥٤ .

ومن هذا اللون ما قاله في قصيدته " بين الحب والحرب"[١]:

يامنى النفس تعالى نبتدر	من جنى أيامنا ما أينعـا
واغنميها لحظات إنهـا	فرص تمضى وتبقى جزعـا
أمتعينا والمنى مسعـدة	ليس هذا العيش إلا متعـا
بحديث كاد أن يخلق مـن	سحره في كل شئ مسمعـا
حدثينا عن تباريح الجـوى	وصفى جور الهوى ماصنعا
حدثى عما جنت أيدى النوى	وجميل الصبر ماذا نفعـا
وأمان كم هفا الصب لهـا	خادعا للنفس أو منخدعـا
حدثينا عن غرام لم يـدع	فى فؤادينا لواش موضعـا
حدثينا إن أشهى متعـة	منك إن حدثتنا أن نسمعـا

.... وهكذا يعكس لنا غزل الزين اعتماد المكفوف على الأذن، وبراعته في نعمة الاستماع ، كما يعكس دقته في تتبع الأصوات والتقاط النبرات ، والتفرقة الدقيقة بين مختلف النغمات .

(٢) الوصف :

لقد منح الله الزين قدرة خارقة في إحساسه ووجدانه أثارت انتباهه ، وجعلت فنه يطوف في كل مجال من مجالات القول مبدعا خلاقا، وجعلته كذلك يلمس الأشياء فينفذ إلى أغوارها، ويبثها شيئا من عواطفه ، ويصفها وصفا يهز المشاعر ، ويملأ جوانب النفس إعجابا ، ويجعل القارئ يحس بالصلة الروحية المنعقدة بين الشاعر والموصوف .

---

(١) الديوان ص ٢٤ ، ٢٥ .

وللزين مقطوعات فى الشعر الوصفى ، وله أوصاف تقترن بأغراضه الشعرية الأخرى ، على أنه فى أوصافه لايعتمد فى كل أحواله على ماجرى عليه الشعراء السابقون ، فكثيرا مايوضح حقيقة الموصوف ويرسم صورته ، ويغلب عليه أن يشير إلى هذا الموصوف من خلال وجدانه وحالته النفسية .

ومن قصائده الوصفية الرائعة تلك القصيدة التى وصف فيها الساعة ، وصورها تصويرا دقيقا لايبلغ فيه شأوه بعض الشعراء المبصرين .

يقول [1] :

مع الزمان دائـــرة   وبالحساب سائـــرة
من شمد العمران والدنيا إليها ناظـــرة
قد قنعت ناحيـــة   منها وأخرى حائرة
نظارة لاتخطئ الـوز   ن تقول شاعـــرة
تحوى الزمان كلـــه   أوله وآخـــــره
تريك ماتحنى بـــه   من الزمان حاضره
آتيه فى الغيب ومـا   مضى طلول دائـره
تبدأ حيث تنتهـــى   دائبة مثابـــــرة
تظل طول عمرهـا   قادمة سائـــــره
حائرة وحدبهـــــا   لى أن تظل حائـــره
صديقها الرفق بهـــا   كذات دل نافـــره

---

(١) الديوان ص ٧٥.

دعها تسر آمنـــة　　من عنت أو بـــادره
إن لم تصن من عبث　　مشت خطاها عاثره
قاض إلى قضائـــه　　كل العيون ناظـــره
إن صدقت فصدقها　　توحيه غير آمـــره
أو كذبت فكذبهـــا　　بلايين فاجـــره
لسانها عقـــارب　　تزحف غير غـــادره
حسبك من وفائهـــا　　نومك وهى ساهـــره

ومما يقرب من هذا وصفه الدقيق لطاقة الزهر ، يقول (١):

أهدت إلى النفس ريا نشرها العبق
والطيب فى الزهر يوحى طيب الخلق
رقت رسائلها فى الكون فاتخـذت
من النسيم بريدا شاع فى الأفـــق
ومارأيت بريدا خف محملـــــه
مثل النسيم حكى المعنى بـلا ورق
أنباؤه كحديث الحب عاطـــــرة
أو ذكريات شباب ناعم أنـــــق
ظلت تنسقها كف منعمـــــة
تكاد تحسبها من ذلك النســـق
تداعب الزهر فى رفق أناملهـــا
كالنوم داعب جفن الساهر الأرق
كلاهما بالهوى يرنو لصاحبـــه
فاعجب لمختلف بالحب متفـــق
تحنو عليه فتنسيه منابتـــه
فى الروض يندى بمنهل الحيا الغدق

---

(١) الديوان ص ٦٩.

كلاهما زهر فى كف صاحبــــه

فانعم بزهرين ملثوم ومنتشـــــق

والقصيدة رائعة قوية، وكلها من هذا النمط العالى ، وقد ملأها الزين بالحياة والحركة ، ولعل من أخص ماتمتاز به مواءمة الألفاظ للمعانى مواءمة تدل على براعة في التصوير ودقة فى التعبير .

وله مقطوعة وصفية رائعة فى " المسرة " يقول فيها [(١)]:

مسرة تسعف المحبــــا ترد بعد المزار قربــــا

إذا أدرت البنان خمسا بها نهبت الفضاء نهبــــا

إلى الذى كم ظللت ترجو لقاءه والزمان يأبـــى

تذلل البرق تمتطيـــه وقد ملكت الهواء دربــا

لم تتخذ للسفـــار زادا ولم تلق فى الرحيل خطبا

ولا جهدت المطى حتـــى شكت لعرض الفلاة كربـا

كأن عرض الفضاء فيها ناد يضم الرفاق صحبـــا

أمينة لاتذيع سـرا لمن قلى أو لمن أحبـــا

حفيظة لاتضيع حرفـا ولاتزيد الكلام كذبـــا

....

---

(١) الديوان ص ٦٧.

وبهذه الطاقة الخارقة التى أوتيها الزين فى الشعر الوصفى نراه يقف بخياله المحلق فيصف الابتسامة وصفا رائعا، فيه إحساس الشاعر وعميق تأثره [١] ، فأى اقتدار هذا الذى جعل الشاعر يصف هذا الوصف الرائع ، ولو شئنا أن نعقد مقارنة بين قصيدة الزين هذه ومثيلاتها لشعراء مبصرين لألفيناه يعطينا صورا رائعة غير مفتعلة ، والحق أن هذه القصيدة صورة لصور الزين ، وهى ترينا مبلغ ما أوتيه هو وغيره من الشعراء المكفوفين من رغبة فى استقصاء الموضوع والدقة فى التفصيل والتصوير .

(٣) المدح :

ومن الملاحظ أن فن المديح الذى احتل مكانة مرموقة ، وشكل ناحية هامة ومحورا ذا شأن خطير وكبير فى تراث الشعر العربى فى كل عصور الأدب لم يكن له عند شاعرنا مثل تلك المكانة التى كانت له عند شعراء عصره.

وما ورد له فى هذا الباب يختلف عن ذلك اللون الذى يؤدى به الشعراء حق الشكر، أو يقصدون به التقرب من ذوى المكانة ، وكان يتجه فيه إلى الأصدقاء والأصفياء والنوابغ والمشاهير من رجال الفكر وأهل العلم والأدب ، ينعتهم بنعوت الكمال ، ويصفهم أوصافا من باب التحية والإجلال .

---

(١) راجع تفصيل ذلك فى كلامنا السابق عن " الغزل " .

من ذلك مدحه للأستاذ محمد فريد وجدى أستاذ النهضة العلمية فى مصر ، ونحن نجده يستهل القصيدة على عادة الشعراء السابقين ، ثم يتخلص إلى المدح ، فيشيد بصاحبه من خلال مآثره وأعماله .

يقول (١):

أفريد أوضحت الطريق لأمـــة
تعشو بليل ماتريم غياهبــه

عمرت ربوع العلم قبل وأطلعـت
نجما تألق فى الغياهب ثاقبــه

كانت مواردها تفيض نمالهـــا
فاض المعين بها وخلى طالبــه

عبثت بها أيدى الزمان وطوحـت
بتراثها أحداثه ونوائبــــه

بشت بك الدنيا لمصر بعد مـا
أورت بالدمع الهتون نوادبــه

أنلا " بدائرة المعارف " إنهـــا
ثمر النهى تجنى لمصر أطايبه

علم كما فاض النمير ومنطـــق
فصل إذا ما الهطل أوهم كاذبه

حجج قواطع لو رميت ببعضهـا
جبلا من الشبهات هدم غاربــه

---

(١) الديوان ص ٨٣ ، ٨٤ .

لم تبغ مرتبة ولاجاها بهـــــا
ما كان من حسن فإنك كاسبه
وكـذا الفتى إن لم يشب أعمالـه
دنس الهوى فالباقيات مراتبـه
أفنى لها شرخ الصبا لم يثنـــــه
عنها صروف زمانه ومصاعبـه
ومضى يجد إلى الهدى مستبطنا
عزما تنوء بمن سواه متاعبـــه
فلوان للعضب الصقيل مضـاءه
لم تنب في كف الجبان مضاربـه
ولو ان للأيام نور ذكائـــــه
كان الظلام ضحا تضئ جوانبـه
ولو أن أمته جزته بفضلـــــه
ملأت نواحي أرض مصر كواكبه
يهنيك ما أوتيته من حكمـــة
وسداد رأى ليس يخطئ صائبـه

وله أبيات أخرى فى مدح الأستاذ وجدى [١] ، وكلها تدل على أن الممدوح كان يتمتع بمكانة ملحوظة عند الزين .

ومما سجله الزين فى باب المديح نرى أنه لم يتطلع في حياته إلى الشهرة ، ولم يتهافت على الكسب بالشعر، ولم يرغب في التقرب من ذوى الجاه والسلطان، يؤكد ذلك أنه قد ضاق ذرعـــا

---

(١) انظر مجلة الأزهر المحرم سنة ١٣٦٧ هـ (المجلد التاسع عشر ص ٥١٩ - ٥٢٠) .

بالثناء الكاذب (١) ، وترفع عن التملق والتدنى ، وندد بأولئك الذين تبرر الواسطة عندهم الغاية ، ويقبلون الوصول إلى الغرض بأية وسيلة (٢).

(٤) الإخوانيات :

وهذا اللون من الشعر يتمثل فى شعر المناسبات الإخوانية التى كانت تحدث بين الزين وأقرانه من الأدباء والشعراء ، أو بينه وبين أصدقائه وأحبابه .

وإخوانيات الزين معظمها من المقطوعات الشعرية القصيرة ، وقد اتخذها أداة لتصوير عواطفه ومشاعره تجاه من ذكرنا ، ففيها المدح ، والتهنئة ، وفيها الصداقة والود ، وما إلى ذلك من المعانى الاجتماعية الواسعة التى تربط بين بعض الناس وبعض، وقد خلت إلا فى القليل النادر من تصوير العتاب (٣)، والتقريع ، والاعتذار، ونحو ذلك من المشاعر التى يحملها صديق تجاه صديق آخر طرأت على علاقته معه ماشابها وعكر صفوها .

---

(١) انظر قصيدته " خدعة الثناء ، وفتنة الأدعياء " (الديوان ص ٣).

(٢) انظر قصيدته " غربة النبوغ " (الديوان ص ١٠) .

(٣) أورد الأستاذ الشيخ عبد الجواد رمضان للشاعر أحمد الزين قصيدة فى العتاب ، وذكر أنه قد عاتب فيها الشيخ عبد الرحمن قراعة مدير الأزهر آنذاك (انظر مجلة الأزهر ، المحرم سنة ١٣٦٧هـ (المجلد التاسع عشر) ص ٥٢٠ ، ٥٢١.

وكان قدرا محتوما على الزين الوفى ، المعترف بالجميل ، أن يصور علاقاته الاجتماعية، وأن يقول شعرا إخوانيا يهنئ فيه ويمجد، أو يعبر عن ثنائه وشكره وتقديره ، ولعله وهو الخبير بخبايا النفوس ، كان يعلم أن مثل هذه المقطوعات شديدة التأثير فى نفوس من توجه إليهم .

وفى رأيى أن هذا اللون من الشعر تسجيل دقيق لحياة الشاعر، وهو موشر يكشف لنا النقاب عن شخصيته ، وما عرف عنه من رقة الجانب ، وصفاء النفس ، وحلاوة المعشر، وكرم الطبع ، فكان يعترف بالفضل لأهله ، وبالشكر لكل من أسدى له يدا ، وقدم له معروفا .

وتحمل إخوانيات الزين كثيرا من المقطوعات الإخوانية التى وجهت لأدباء ومفكرين بارعين ، وقد اتخذها أداة لتصوير خواطره ومشاعره وأفكاره تجاههم، كما أنها حافلة بألوان من المحبة الصادقة والوداد الصافى ، والإخاء المتبادل .

والتهنئة ضرب من المديح لاتكاد تفترق عنه فى شئ كثير ، وهى من الفنون التى تجيش بالعواطف الزاخرة التى يحملها الشاعر نحو صديق تربطه به علاقات طيبة ، وهى تقال فى مناسبات خاصة محدودة ، كالنجاة من مكروه ، أو الإنعام برتبة ، أو غير ذلك من المناسبات المشابهة . وأما المديح فإنه غير مقيد بمناسبة أو زمان .

والحق أن الزين قد غاص فى تهانيه على المعانى المناسبة ، وصادفه التوفيق فى أداء مايريد من إظهار الفرحة بالمناسبة التى من أجلها نظمت المقطوعة .

مثال ذلك قوله فى الأستاذ أحمد أمين بمناسبة الإنعام عليه بالرتبة (١) :

حبوه بها أم حبوها بــــه	لقد حرت أيهما يزدهـى
وما فخر من ليس بالمنتهى	علا إن تقلد ماينتهــى
لقد نلت ماتشتهى من فخار	ونال بك الفخر مايشتهى

والأبيات مع قلتها إلا أنها فى نظرنا من خير ما أنشد الزين فى التهانى ، من حيث استجماع المعانى ، وقوة رصف الشعر ، والإبداع فى تصوير ماجاش فى خاطره تصويرا دقيقا .

ويمضى الزين عارضا صورا كثيرة من المودة التى تجرى بينه وبين أصدقائه فى وفرة من العواطف ، فيقول مهنئا الأستاذ أنطون الجميل بمناسبة منحه لقبا جامعيا (٢) :

فخر به التاريخ قام خطيبــا	يتلو على الأسماع منه عجيبا
ما إن يمل على المدى ترديده	ويظل فيه سائلا ومجيبــــا
ويصوغ للأجيال منه قصيدة	يشدو به صوت الزمان طروبا
نبأ سرى فالشرق مزهو بــه	وغدا به تاريخ مصر خصيبا

---

(١) الديوان ص ٨١ .

(٢) الديوان ص ٩٤.

والجامعات عليه تحسد أختها	فى مصر يافعة تهذ الشيبا
أمم البيان تساجلت فرحا بـه	وتناقلته فى الممالك طيبا
إن لم يقيموا للتهانى حشدهم	فالشرق محتشد لذاك قلوبا

ويهدى إليه الأستاذ توفيق الحكيم كتابه " يوميات نائب فى الأرياف" فيعجب به الأستاذ الزين إعجابا دفعه إلى نظم هذه الأبيات مهنئا (١).

إن يفخر العرب الكرام بكاتب	فليفخروا بيراع ذاك الكاتب
قلم بتصوير السرائر مولـع	غيب النفوس عليه ليس بغائب
يسرى إلى طى الصدور شعاعه	أمضى وأثقب من شهاب ثاقب
يصف النفوس كما يراها ربها	ويميط عنها كل ثوب كاذب
إيه أديب الشرق هات روائعا	قصصا توشيها بظرف خالب
وأفض على اللغة الكريمة ثروة	فالعرب أشكر أمة للواهب

والحق أنه كانت لعلاقات الود والمحبة والصداقة بين الزين وغيره من الأدباء أثرها فى ارتقاء الشعر الإخوانى عنده ، فتجلت فيه آيات رائعة من المودة والصفاء بين الأصدقاء والأحباء ، مثال ذلك ما كتبه لصديقه الأستاذ أحمد حسن الزيات ردا على إهدائه له هديته النفيسة المتمثلة فى كتابه (وحى الرسالة) ، يقول (٢).

---

(١) الديوان ص ٨٨.

(٢) الديوان ص ٩٢.

أمير البلاغة فيمـا كتبت ... إليك تناهى بيان العـرب
فصف لى بأى يراع كتبـت ... فأحيا افتنانك زهـو الأدب
وقل لى بأى بنان تهـل ... مداد اليراع سلاف العنـب
لها الطرس كأس وساقى الطلا ... يراع وألبابنا المنقلـب
يطوف اليراع بجدرانهـا ... إذا مادهوا بالمزاج اضطرب
وفى أى طرس خططت فرصعت ماسا على صفحات الذهـب
أو الزهر تنظمه نائـرا ... فكان من الطرس روض عجب
وأى القرائح تلك التـى ... لها وهب الفن ما قد وهـب
توقد جذوتها فاعجبـوا ... لغوث جرى مدبه من لهـب
فهات من النثر ما قد حلا ... نقم فى الثناء بما قد وجـب

وإلى هنا نرى أنه لم يرد فى إخوانيات الزين التى ضمها ديوانه ذلك اللون المسمى " بالمساجلات الإخوانية"، وهو لون من قصائد الود تحدث بين شاعرين صديقين فى مساجلات يحرص كل منهما على أن يتفق مع صاحبه فى البحر والقافية والروى .

ومن الملاحظ أن الصنعة اللفظية لم تكن أمرا ملتزما فى إخوانيات الزين ، بل كانت نادرة الوقوع ، وذلك لأن العواطف الزاخرة التى شحن بها هذا اللون من الشعر هى التى سيطرت على اتجاهاته ، فطغت من ثم العواطف على الصنعة، وخرج لنا لون من الشعر الجميل فى بابه .

(٥) الرثاء :

لعل الذى يلفت النظر ونحن نتابع الزين فى مراثيه أنها تدور حول أعلام الأدب ، والشعر ،والصحافة، والمصلحين ، ممن كانو يرتبطون به بصلات اجتماعية وغيرها. وله فى ذلك: رثاء داو بركات، وإسماعيل صبرى ، ومحمد الهراوى ، وجبرائيل تقلا وحافظ إبراهيم ، وعبد المطلب ، وتيمور ، وملك حفنى ناصف .

ونحن نلمح فى رثاء الزين صدق العاطفة ، ووفرة الإحساس وقوة التعبير ، ومتانة السبك، ذلك لأنه كان وفيا غاية الوفاء [١] وكان لايرى للإحسان جزاء يعدل الإشادة به والثناء عليه ، هذا فضا عن أنه كان مطبوعا على شئ غير قليل من الأسى والجزع ، بسبب ماعاناه فى حياته من جراء كف بصره ، وقد ترك هذا فى نفسه حز أليما لايلبث أن يتكشف إذا اختطف الموت واحدا ممن يصادقهم أو أحدا من أعلام الأدب والشعر الذين يجلهم .

ونحن نحس حين نقرأ رثاءه أنه صورة صادقة للجزع ، ونشه أن قلبه يخفق ألما ، وأن نفسه تضطرم أسى وحسرة . وأقو مايكون ذلك حين يبكى علما من الأعلام الذين اتصل بهم اتصا وثيقا .

---

(١) أنظر ولعه بالوفاء وحضه عليه فى قصيدة وضع لها اسم " الوفاء" (الديوان ص ١٤٠).

فإذا رثى الشاعر إسماعيل صبرى نراه يبين لنا جسامة الخطب، ويصورلنا شمائل المرثى ، ولم ينس أن يقفو آثار القدماء ، وينسج على منوالهم فى تفخيم الفقيد وتعداد مآثره فى لفظ رصين ، وعبارات جزلة كما عرف عنه .

يقول (١) :

دفنوا شمائل كالسلافة رقـــة والماء ريا والرياض تضوعـــا
شيم هى الإيناس يجلو وحشة أو نعمة الدنيا تصادف مدقعـــا
خلق هو الجنات لو يجزى بـــه ذو طاعة لم تلف إلا طيعـــا
عف اللسان عن الجليس إذا نأى يرضيك حاضره وغائبه معـــا
وإذا توسط فى الندى رأيتـــه يرضى الشمائل سامعا أو مسمعا
يسبى قلوب الزائرين ببشـــره أكرم به مستقبلا ومشيعـــا
هش لزائره أأكثر أم ونـــى لم يلقه سئما ولا متمنعـــا
فكه الحديث حكيمه لامضجـــر منه الورى ولا التقى الأورعـــا
لم يعتذر بمزاحه عن زلـــة يوما ولانطق السفاه ولا وعـــى

ويستطرد الشاعر فى رثاء إسماعيل صبرى وإعلاء مكانته ، ثم ينتقل بعد ذلك انتقالا موفقا ، ويأخذ يفكر فى الموت والحياة فيقول :

---

(١) الديوان ص ١١٢.

عش ماتشاء بها تخلد من هلا ... فى الدهر ليس المرء إلا ماسعى
فلرب ذى صمت أصم بقبره ... جعل الزمان لسانه والمسمعا
ومشيع فى اللاهين وفضله ... ملأ العصور فما نعاه من نعى
يبلى ولايبلى بقلب ذكره ... فكأنه فى كل يوم شيعا
وجسوم هذا الناس أنفاس الثرى ... لابد يوما للثرى أن ترجعا

وترى وأنت تقرأ فى مراثى الزين أنه ينتحى فى كل مرثية ناحية ينتزعها من مآثر الفقيد وتوحى بها مواهبه، فإذا كان صحفيا دار الرثاء فى فلك الكفاح والجلد ، والجهود التى تبذل فى سبيل الكشف عن الحقائق .

يقول فى رثائه لصديقه داود بركات فقيد الصحافة (١):

وعاش بفكره فى كل أرض ... فليس لفكره عنها اغتراب
فكان الشرق موطنه جميعا ... وكان لمصر ماضمن الإهاب
حسام لم يثلمه قراع ... ولكن ضم صفحته القراب
وليث لم يحطمه جهاد ... ولم يخذله فى الهيجاء ناب
جهاد لم يدعه ثلث قرن ... وللآلام فى الجسم انتهاب

....

إذ الأهرام تبدو فى حداد ... يجللها سواد واكتئاب
جرت أنهارها دمعا وكانت ... موارد بالبيان لها انسكاب
لقد كنت اليقين لكل شك ... فمن للباحثين إذا استرابوا
وكنت لهم إذا ضلوا صوابا ... فأعوزهم لفقدك الصواب
وكنت كتاب نهضتهم فلما ... طوتك يد الردى طوى الكتاب

---

(١) الديوان ص ١٠٩، ١١٠.

صحائف للقضية حافظات — لكل دقيقة فيهن بساب
فصول بالعظات مفصلات — ضراب لم يشبهن اقتضاب
تطالعنا بها في كل شمس — سماء ما لكوكبها احتجاب

وفى بعض مراثيه فى الشعراء نراه يجوب آفاقا جديدة ، ويحلق فى أجواء أخرى يشير فيها بعض القضايا الأدبية والاجتماعية التى كانت شغل الناس فى أيامه ، وترى مصداقا لذلك فى رثائه لعبد المطلب ، وتيمور ، وحافظ ، فهو يشير قضية التجديد فى الشعر ، التى كانت شغل المثقفين فى زمانه ، وينعى على المجددين ، تهافتهم على محاكاة الأدب الأوربى والتشبه به فيما يتعارض مع تراثنا الأدبى [١].

كما أنه يرد فى هذه المراثى الدعوات الإصلاحية التى يتردد صداها فى الصحف والمجلات فى زمانه .

ففى ختام قصيدته فى " ذكرى حافظ إبراهيم " نراه يحمل حملة شعواء على الفوضى التى ضربت أطنابها بين طبقات المجتمع، والتى تدل على خمود العزائم وركود الهمم .

---

(١) سنفصل الحديث فى ذلك أثناء حديثنا فى الفصل الثانى عن " رأيه فى التجديد فى الشعر ".

يقول (١):

تواصت بغبن شعبكم وشبابكم
ولرضي الهوى ساوت مجدا بلاعب

فأحجم عن ميدانها كل سابـــق
جواد وجلى فيه تهريج صاخــب

وأمسى زمام الفكر في يد عصبة
هم المثل الأعلى لسخف المواهـب

علام يجيد الفن في مصر متقـن
إذا كان بالتهريج نيل المراتـــب

فياجهل واصلنا وياعلم فابتعـد
وياحمق لازمنا وياعقل جانـــب

أرى الجهل نورا في بلاد رجالهـا
خفافيش يعشيها ضياء الكواكب

إذا الشعب بالإهمال أرسب عالها
فلابدع لو يعلو به كل راســب

وفي رثائه لباحثة البادية " ملك حفني ناصف " نراه يعلن رأيه في قضية السفور والحجاب ، تلك القضية التي شغلت الشعراء والكتاب في مصر فترة ليست بالقصيرة، فهو يشيد بملك ، ويثنى عليها لبلوغها بالحجاب غاية عظمى، وينتهز هذه الفرصة فيذكر أن الحجاب ليس بعائق للمرأة ، وليس حجر عثرة في نهضتهـــا ، يقول(٢):

---

(١) الديوان ص ١٢٣.
(٢) الديوان ص ٢٩ ، ٣٠ .

ومع الحجاب بلغت أبعد غايــــة
في المجد تقصر دونها الأفهام
ليس الحجاب يعوق عن طلب العلا
فيما أرى لكنها أوهـــــام
قالوا السفور فقلت شعب جاهـــل
والناس ماجهلوا فهم أنعـــام
إن السفور مع الجهالة محنـــــة
هل يدفع الأسد الهصور سوام
ها علموها واعملوا ماشئتمـــو
فالعلم حصن لايكاد يــرام
إما الحجاب أو السفور أردتمـــو
والخير فيما اختاره الإســـلام

وبعد فهذا هو رثاء الشاعر أحمد الزين ، ولعل أحدا من الذين رثوه لم يبلغوا في رثائه مابلغه هو في رثاء أدباء مصر ومصلحيها ، وهذا يفسر لنا ما كان عليه في مراثيه من انفعال نفس، وصدق عاطفة ، ووفرة إحساس[١].

---

(١) يمكن أن يستثنى من ذلك رثاء الزين لجبرائيل تقلا ، فهو رثاء مجاملة أكثر منه أي شئ آخر (انظر الديوان ص ١١٨).

(٦) الشعر الأخلاقي:

أحمد الزين عالم من علماء الأزهر الشريف تلقى علومه فيه وهو صغير السن ، وتربى تربية جادة تعتمد على الدين في ظلاله ، وأخذ نفسه بالأخلاق التى تعلمها فيه ، وصار لها فى حياته مكان لاينكر .

والأخلاق من الدعائم التى يقوى بها العلم والتقدم ، بل هى أولى هذه الدعائم، وحسبها أنها مهمة المرسلين ، وهدف المصلحين .

والأخلاق عند الزين حجر الزاوية فى بناء الأمم وحياة الشعوب، وهى دليل قوى على رقى المجتمع أو تخلفه ، وبها تتفاوت مقادير الناس ومنازلهم ولذلك انبرى يتغنى بها، وينظم خبراته وتأملاته في قصائد تهذيبية لم تكن تخلو من أحاسيس غنائية، ويهيب بالمتعلمين أن يأخذوا بالآداب، ويتمسكوا بالأخلاق.

وقد جاء فى ديوانه بجملة من الأراجيز معظمها في قواعد الأخلاق، وغير ذلك من النصائح والآداب العامة التى تكشف لنا عن انطباعاته، وآرائه ومذهبه، كما تدل على بصيرته النافذة بطبائع النفوس وخبرته بما يحدث بينها الألفة ، أو بما ينفر بينها .

وأراجيز الزين صادرة من شاعر محنك ، وهى نتاج عقل مفكر، وخبرة طويلة ، وتجربة عميقة، ولذلك لاقت إعجاب الدارسين، ووقفوا أمامها وقفة إعجاب وتقدير ، وفى رأيى أنه تأثر فيها

بأرجوزة أبى العتاهية " ذات الأمثال " ، كما تأثر بأمثاله من الشعراء الرجاز .

ويمكن القول إن اهتمام الزين بالناحية الاجتماعية هو الذى دفع به إلى تقمص شخصية المعلم المخلص ، والخطيب الناصح ، ومن ثم انعدم أو كاد فى مثل هذا اللون من الشعر عنده الحديث عن الذات لدرجة أن ضمير المتكلم لم يعد هو الأساس عنده بقدر ما أصبح ضمير المخاطب .

إنه يتجه فى قصيدته " فى الكلام والصمت " إلى الناشئة الذين يراهم أمل مصر ورجاءها، ويرى مستقبل البلاد معقودا بسيرتهم ، وحياتهم رهينة أخلاقهم وسلوكهم ، فيربيهم على الآداب، ويعلمهم آداب الكلام والصمت .

يقول : (١).

القوس بالسهـــام	والمرء بالكـــلام
غاية الكمـــــال	إصابة المقـــال
عقل الفتى مكتم	يظهره التكلـــم
وإنما الإنســـــان	العقل واللســـان
سلامة العقـــول	فى قلة الفضول
قل حسنا لتسلما	أو استمع لتغنما

(١) الديوان ص ١٤٦.

وحاذر الإكثـــار	ولا تكن مهـذارا
لايزدهيك صامـت	إن الجماد ساكـت
كم صامت لجهلـه	وناطق لفضلـه
وليس ترك المنطـق	دليل حسن الخلـق
رب سكوت عـي	ورب نطق غـي
وإن علا الجـدال	وانتضل الرجـال
وعزك الخطـاب	وأعوز الصـواب
كان السكوت غنما	حتى تصيب المرمى
ذرهم على جدالـهم	تصغى إلى أقوالهم
واحرص على أن تسمعا	أكثر من أن تسمعا

....

ويرى الزين بعض المعلمين يتخلى في علمه عن التمسك بالأخلاق، وتحكيمها فيما يسطر فيهر له ذلك ، ويهتف هتاف الثائر يبحث عن معلم يلزم نفسه بما يؤمن به الزين ويرضاه (١).

لا تمت العلم بترك بذلـه	ولا تعلمه لغير أهلـه
تضيعه كفارس النرجيـل	ضلالة منه بأرض النبـل
وابخل به حتى تصيب الموضعا	ضنا بفضل العلم أن يضيعا
ما كل موطن يطيب البـذل	كم موطن يحسن فيه البخل

....

(١) الديوان ص ١٤٨.

والبخل بالعلم على من يعمر ـ به نبات العلم ظلم أكبر
من ضن بالعلم على الجهال أبخل ممن ضن بالأموال
فاستبق فضل العلم بالتعليم وزك غرس الفهم بالتفهيم
وكن بمن علمته رءوفا لكي يرى منك أبا عطوفا

ويطول بنا القول لو تتبعنا شعر الزين في هذا الغرض ، فهو يواصل في أراجيزه تبصير الناس بالآداب المختلفة التي يجب أن يتبعوها ويحرصوا عليها في مواطن مختلفة ، وكلها في واقع الأمر آداب تجعل الإنسان يرتاد طريق المجد ، وينأى عن مواطن الذلة والصغار، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الزين صاحب ذوق لطيف ، وشعور دقيق ، وإحساس مرهف ، وأنه خبير بألوان المعاملات والاتصالات التي تكون بين الناس .

ولعلنا لاحظنا قدرة الزين في هذا النوع من الشعر، وتصرفه الواسع فيه ، وإتقانه لنماذجه التي تستكمل خصائصه الفنية من حيث جمعه بين الفائدة التهذيبية والمتعة الفنية .

ثانيا : الأغراض التجديدية (الموضوعية) :

لقد منح الزين أحداث عصره من فكره وإحساسه ما جعله مرتبطا بها ، فقد اهتم بما يضج به العصر من آراء ، وما يدوي في جنبات البلاد من صيحات الإصلاح، واهتم كذلك بوصف الحياة من بعض زواياها، ولم يترك ظاهرة من ظواهر الحياة الاجتماعية إلا غاص في أعماقها وتناولها شعرا .

(١) الشعر الاجتماعى :

لقد تأثر الزين فى شعره بما ساد البلاد من اختلال فى الأوضاع، واستمر فى تذمره وسخطه ، وكان يثور ثورة نفسية تتضمن الرغبة فى التطلع إلى استكمال مقومات المجتمع الأمثل، وإحلال الحرية والعدل محل الاستعباد والظلم .

والشعر الاجتماعى عند الزين ليس كالشعر الاجتماعى قديما، فهو ينظر إلى المجتمع نظرة متفحصة تخطت ماوقف عنده القدماء، من رؤية المجتمع من خلال أبيات الأمثال والحكم والشكوى، إلى نظم قصائد كاملة تعكس الثورة العارمة التى شنها على التقاليد غير الطيبة التى تمكنت فى نفوس المصريين، والتحمت بها وتختلف فى كنهها عن عاداتنا وتقاليدنا الأصيلة .

وللزين فى الشعر الاجتماعى نفس طويل، وقد تناول فيه - على عادة شعراء عصره - بعض الأحداث الاجتماعية التى عاصرها، والتى هزت المجتمع فى عصره ، وكان له شعوره الخاص بالحياة المضطربة فى المجتمع ، وشعورضد الظلم واختلال الأوضاع، واقترن هذا كله عنده بالدعوة إلى التطلع لحياة جديدة ، والسير فى سبيل الإصلاح ، وكأنه يعد هذا واجبا قوميا، ويأخذ ينتدب نفسه للقيام بهذا الواجب " فكأنما كان .....قصيدة أرسلتها السماء لتقويم حال هذه البيئة العرجاء " (١).

---

(١) مقدمة ديوان أحمد الزين ، للأستاذ عبد المغنى المنشاوى صفحة و .

ولا نغالي إذا قلنا إن الشاعر أحمد الزين كان أقوى الشعراء ثورة على اختلال الأوضاع، واضطراب القيم وضياعها، ولعل هذا راجع إلى موهبته الفذة التي ضاعت هباء بين اختلال المجتمع، ولم يقدرها أحد من الناس حق قدرها، فاشتدت من ثم ثورته، وكانت نقمته، وقد أكد هذا الدكتور أحمد الشرباصي وهو يدرس نفسية الشاعر [١].

وقد ساعدت السياسة الاستعمارية على تفشي عادات سيئة كثيرة بين أفراد المجتمع المصري، وكان لجالياته في مصر أثر كبير في بث تلك العادات اللاأخلاقية، كذلك ساعدت سياسته على هذا الصراع الذي منيت به البلاد، والذي كان سببا في ضياع القيم تحت تأثير المطامع الشخصية، فتفشت من ثم العلل والأدواء، وضاعت القيم الأصيلة [٢].

وقد جد الزين في التفتيش عن هذه الأدواء، وأخذ يرصد كثيرا مما اضطرب فيه المجتمع من اختلال الأوضاع، واضطراب الموازين، ورواج التملق، وضياع الحقوق، وما إلى ذلك من الأمور التي يأباها الشرع، إيمانا منه بأن من هذه الأدواء ماهو جدير بتحطيم الحضارات

---

(١) انظر في عالم المكفوفين ص ٢١١.

(٢) انظر الأدب والحياة في المجتمع المصري المعاصر، للدكتور ماهر حسن فهمي ص ٣٠ ومابعدها، طبعة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٤م.

والمدنيات . ومن هنا أخذ يصورها ويكشف عن مساوئها ، ويحذر الشعب من مغبتها ، ويدعو إلى إزالة هذه الأوضاع الجائرة ، والعمل الحثيث على الوصول إلى مستوى أعلى وأكرم يتناسب مع كرامة الإنسان وقيمته .

ولقد غاظه أن يموج المجتمع بألوان شتى من الأوضاع الجائرة والنظم القائمة على هضم الحقوق، واستغلال الضعفاء مثل رواج النفاق، والتملق ، ونجاح بعض الناس بسبب إجادتهم للملق والرياء والنفاق ، فقال في قصيدته " الملق " (١):

كم كفايات نفاها قومهـــا	وجهود ألقيت في الطـرق
وضعت في موطن النعل ولو	أنصفوها وضعت في الحدق
فأت عليا هم من بابهـــا	لاتضع عمرك بين الـورق
لم أكن في نعتهم مختلقـا	لعنة الله على المختلـــق
علمونا أننا في بلـــــد	فيه من لم يتملق يلـــق
أودعونا فلكم دنيا الغنـــى	إنما نحيا بدنيا الخلـــق
مرة أخطأتها في عمـــرى	بشناء قلته في نـــزق
منذ أن أخطأت فيه لم أبـت	ليلة إلا بطــــرف أرق

وينقد أساليب الناس في حياتهم ، فيعبر عن سوق النفاق الرائجة، كما يعبر عن الآلام المكظومة ، والكفايات المظلومة ، وينعى من ثم مبدأ تكافؤ الفرص .

---

(١) الديوان ص ١٢، ١٣ .

يقول فى قصيدته " صرعى الأغراض " (١):

دع الحديث عن القسطاس فى حصب
ماسودت بينها إلا مرائيهـــــا

سوق النفاق بهم شتى بضائعهــــا
ترجى لمن يشترى إفكا وتمويهـا

أرخصتم غالى الأخلاق فى بلــد
لم تغل قيمته إلا بغاليهـــــا

يارب نفس أضاء الطهر صفحتهـا
أفسد تمرها فزلت فى مهاويهــا

وكم قلوب كساها الحسن نضرتـه
دنستموها فعاد الحسن تشويها

أغلقتم سبل الأرزاق لم تدعــوا
لفاضل الخلق سعيا فى نواحيها

مدارس تغرس الأخلاق فى نشـإ
ومغلق الرزق بعد الغرس يلويها

لا تلح طالب رزق فى نقائصــه
إن الضرورات من أقوى دواعيها

ما أطهر الخلق المصرى لو طهرت
تلك الرياسات من أهواء موحيها

يا آخذين بقتل النفس قاتلهـــا
قتلى المواهب لم يسمع لشاكيها

---

(١) الديوان ص ١٤، ١٥.

ومما يقرب من هذا المجال ثورته على الثناء الكاذب. يقول فى قصيدته " خدعة الثناء ، وفتنة الأدعياء " (١):

كلهم فى الهوى يزين دينــــه	ألف مفت ومالك بالمدينـــــه
جهلوا لجة البحار ومســــــرى	ريحها وادعوا قياد السفينـــه
كاد يهوى بها إلى القاع فوضى	من دعاوى الجهالة المأفونـــه
نجها رب إننا قد جعلنـــــا	كل فن فى غير من يحسنونه

وكان لاتصالنا بأوربا ،واطلاعنا على الكثير مما لدى الأوربيين، أثر فى قيام الشاعر بعقد مقارنات بين المصريين والأوربيين فى بعض مجالاة الحياة، وكلها تهدف إلى التطلع فى إحداث تغييرات في سلوك المصريين ، كما تتضمن الرغبة فى التطلع إلى الجديد علي حسب مايرى من خلال نشأته وتطلعاته ، وباعتبار مايناسب روحه ومنهجه .

ومن خلال ذلك نراه يذكر أبناء الأمة بما لدى الأوربيين من حضارات ومدنيات ، عساه يستنهض المتهاونين الكسالى، الحالمين بما لأجدادنا من أمجاد، ويوجههم للعزائم القوية، والهمم الجبارة، والأعمال العظيمة .

---

(١) الديوان ص ٣ .

يقول في قصيدته " الصناعات والفنون بين مصر وأوربا "[١]:

ياحالمين بمجد مصر الزائـــــل
هيهات تبني ركنه يد عاطـــل
وضح الهدى والقوم بين أخي كـــرى
لايستفيق وبين صاح غافـــل
قل للذي طلب المعالي قاعـــدا
لا مجد في الدنيا لغير العامل
بنت الشعوب على الصناعة عزهـا
فالنجم يرمقه بعين الذاهـــل
دعموا الحضارة بالعقول وصيـــروا
مدنية الأسلاف زخرف باطـــل
تركوا الزهادة في الحياة لعاجـــز
راض من الدنيا بعيش الخامـــل
وترامت الدنيا لهم في جدهـــا
إذ نحن نرمقها بعين الهـــازل
خلقوا من العدم الوجود وأوشكوا
أن يجعلوا للصخر عقل العاقـل
واستنبئوا الأكوان عن أسرارهـــا
لم يسألوا عنها سطور أوائـــل
خضعت لأمرهم البحار فأثقلـــت
من سفنهم بدائن ومعاقـــل

. . . .

---

(١) الديوان ص ٣١.

وأينما اتجهت فى شعر الزين فإنك تستطيع أن ترد ماكتبه إلى عاطفة إنسانية جياشة تجعله سريع التأثر بما يضطرب فيه المجتمع من أدواء وعلل ، وما يلم بالناس من أحداث وخطوب ، وغير هذا وذاك مما ينبئ عن حبه لوطنه وبنى وطنه ، وحرصه الشديد على النهوض بالأمة فى جميع المجالات .

وسبب ذلك أن الزين تربى تربية أزهرية جعلته عميق الإحساس بمبادئ الدين وأحكامه، من أجل هذه العاطفة الإنسانية الجياشة ، ومن أجل ذلك الإحساس الدينى العميق، نحن نراه لايكاد يسمع عن مفسدة اجتماعية حتى ينطلق ملزوعاًأيما فزع يصور هذه المفسدة ، وما تجره على المجتمع من ويلات .

(٢) الشعر السياسى :

والذى يسترعى انتباه الباحث أن الزين على الرغم من شديد تأثره بأحداث عصره ، وعلى الرغم من اهتمامه الشديد فى المقدمة التى كتبها لديوان الشاعر إسماعيل صبرى بوطنية هذا الشاعر الصادقة الحارة [١]، على الرغم من ذلك كله لايجد الباحث فى شعره شعرا سياسيا كهذا الذى كان عند محرم والكاشف وشوقى وغيرهم ، ولم يستطع أن يعثر له على باب شعرى يقف منه على شعره الوطنى .

---

(١) انظر مقدمة ديوان صبرى ، لأحمد الزين ص ٣١.

والذى يشرع فى قراءة شعر الزين ، ويقف منه على مايضج به العصر من آراء وصيحات إصلاح، يظن أنه سيجد فى ديوانه شعرا وطنيا يملأ جنبات مصر ، ولكن الزين قد أبدت حياته الفنية عن مظاهر مغايرة كل المغايرة لهذا الظن . والحق أنه لولا مقطوعات قليلة مبثوثة فى تضاعيف الديوان ، وأبيات أخرى منثورة فى ثنايا قصائده تمثل خطراته السياسية ، ويتعرض فيها لشئون المجتمع السياسية بقدر ، لولا هذه وتلك التى جاء بها فى تضاعيف باب (الاجتماعيات) لما استطعنا أن نقول إن الزين كان له فى باب الشعر السياسى نصيب .

وعلى الرغم من تعدد آثام المحتل الأجنبى ومآسيه ، فإننا نرى الزين يلزم الصمت إزاءه ، ولسنا نعنى بذلك أنه كان يرضى بالاستعمار ، أو أنه كان يصانع فى رأى يراه، أو يداور فى حق يعتقده ، إن شيئا من ذلك لم يحدث منه !.

وهنا نجد أنفسنا نتساءل عن الأسباب التى حالت بينه وبين الانطلاق فى هذا المضمار شأن غيره من الشعراء ؟

وفى ظنى أن انشغال الزين بالحديث عن ذات نفسه قد صرفه إلى حد ما عن الانشغال بالأحداث السياسية، وقد يكون هذا الاتجاه هو السبب فى انعدام باب (الوطنيات) من ديوانه أيضا .

ويمكن أن يضاف إلى هذا الاتجاه العام عنده أن ابتلاءه بكف البصر ، ومعاناته فى تحصيل الرزق ، ولمحنه بقسوة الحياة

ومشقاتها، قد صرفه عن الإخلاد إلى هذا اللون من الشعر، ولعله - وقد رأى ماعليه شعراء الوطنية من محن - قد يئس من عون المجتمع له ، وأدرك أن هذا اللون من الشعر لم ينفعه في شدته ، فهو فيما يعتقد هدف لظلم الحياة والناس ، يؤلمه ماحاق به من غبن، ويزعج نفسه أن يرى تنكر المجتمع له وتأخره في زمانه عن أقرانه الذين ربما فاقهم في الطاقة الشعرية، وسبقهم في محراب الفن ، وكثيرا ما كان إباؤه وعلو نفسه ، ورفضه أن يخدش إحساسه برجاء، سببا في حرمانه من خير كثير كان يستحقه [1] ، بماله من مكانة أدبية وعلمية ، وقدم راسخة في الأدب والنقد ونحو ذلك .

فإذا انضم إلى هذا الشعور إيمانه بعبقريته ، ويقينه بأنه أديب من طراز خاص، من حق المجتمع أن يقدره قدره ، رأيناه يلوذ بإيمانه، ويعتصم بعلو نفسه ، وبات يفور غيظه على اختلال الأوضاع التي لاتقرها مكارم الأخلاق ولاترضاها، وتنتابه الحسرة على صور الشقاء التي خيمت على المجتمع في هذه الأزمنة ، فانطلق يصب حممه على المجتمع ، ويدعو قدر طاقته إلى إزالة هذه الأوضاع الجائرة ، ويتخذ من شعره الناطق بشعوره الصادق أداة إصلاح ، تصلح أحوال المجتمع ، وتقوم ما اعوج فيه من أخلاق، ومن هنا كان سر تفوقه ونبوغه في الاجتماعيات .

(١) انظر مجلة الرسالة ، عدد ٨٠١ في ١٩٤٨/١١/٨م ص ١٢٦٢.

وفى مقطوعة له عنوانها " كلمة مصر إلى نوابها " (١) نحن نجده يوجه الخطاب إلى نواب مصر الذين بيدهم توجيه البلاد، ويأخذ يستعطفهم أن يعنوا بمصر، وأن يمضوا بها إلى الأمام، ليحققوا عظمتها المنشودة .

يقول :

لتداركوا أمل البلاد فقد مضت
منى البلاد ضراعة الرؤساء
يستوزرون وكل عدتهم لهـــا
أذن الأصم ومقلة العشـــراء
وإذا تضرعت البلاد إليهمـــو
فالصبر كل نصيحة النصحاء

ثم يناشد الوزراء العمل على حرية الشعب فيقول :

لاتقنطوا إن القنوط مطية	تقف الشعوب على بلى وفناء
وخذوا بحزم فى عدو دأبه	بطش القوى وحيلة الضعفاء
ردوا لأمتكم حياة لم تدع	منها عهود الذل غير ذمـــاء

ويتصل بذلك حديثه عن أثر المحتل فى السياسة التعليمية، يقول :

---

(١) الديوان ص ١٩.

قتل الإسار فكم أمات مواهبا   وأضاع من فطن بها وذكاء
نال الغبى به أعز مكانـــة   وطفت مظالمه على العلماء
جعل المناصب فى البلاد وراثة   لذوى الغنى وصنائع العظماء
حرم المعالى من يمت بعلمـــه   وتنال بالأنساب والوسطاء

ويؤرق الزين مايجده فى مصر من اضطرابات داخلية وخلافات حزبية، عمل الإنجليز جاهدين على تفشيها بين صفوف الأمة، كى يفتوا فى عضدها، ويضعفوا من مقاومتها لهم، فيرفع صوته مناديا بالاستقرار، ويشيد بالوحدة وبما تؤديه من أمل فى تحقيق سيادة الوطن على أرضه ، وسيطرته على موارده، ويقف وراء هذه الصراعات يدعو للقضاء عليها، ويهيب بالأمة أن تستفيق مما عانته من فتن الأحزاب ، وانحراف القيادات ، ومن انقسام أبناء الأمة الواحدة إلى أحزاب وشيع .

ومع أن حظه فى هذا لم يكن متساويا مع شعراء عصره ، إذ قل فى أشعاره التعرض لهذه الأحداث لما قلناه قبل ، مع ذلك فقد نظم قصيدة عنوانها " وطن محتل وشعب منحل "[1]، وقد عكس فيها الخلاف بين قادة الأمة ، وذكر أن هذا الخلاف هو السبب في التخلف والضعف .

(١) الديوان ص ٢٦.

يقول :

يا أمة لعب الهوى ببنيهـــا ... حصدت لها ثمر الردى أيديها
سارت سفينتها فلما قاربـــت ... ضلت وحاد عن الهدى مجريها
عصفت بها ريح الخلاف بلجــة ... لم يدر غايتها سوى مرسيها
رباه إن أخذت قادتها بـــا ... كسبوا فنج برحمة من فيهـا
صدقوا الجهاد وفرقتهم عصبــة ... أنت الذى بذنوبها تجزيهـــا
كانوا الحماة من العدو فأصبحوا ... وهم العدو لها فمن يحميها ؟
كل يهيب بنا لنتبع خطـــره ... كالشاء تهمل ذئبها راعيهـــا

ويستطرد الشاعر فيحذر من الخلاف، وما سيكون له من نتائج سياسية واجتماعية خطيرة فيقول :

يا أمة طمس الهوى أحلامهـــا ... قصرت فى طلب العلا قدميهـا
إن الشعوب إذا تفرق سميهـا ... عض البنان ندامة ساعيهـــا
بالفتنة عصفت بمصر ومالهـــا ... جلد لعاصفة الخلاف يقيهـــا
قد مكنت للغاصبين بأرضهـــا ... ومشى إلى إذلالها ماشيهـــا
أودت بأخلاق الشباب ودنست ... ما أخجل الأزهار من صافيها
وأتت على أسر البلاد ففرقـت ... بين الفتاة وأمها وأبيهـــا
ذهبت بما ترجوه مصر وأهدرت ... ما سال من دمنا على واديها
فكأننا لم نفدها بنفوسنـــا ... حين استبدهدوها بذويهـــا

ثم يعلل لنشأة هذا الخلاف بالنفاق الذى سيطر على رجال الأحزاب :

رحماك قد ملأ النفاق سرائـرا	لم تعرف التضليل والتمويهـا
شيع تقاذف بالسباب حقودها	أعيا مبرحها على آسيهـــا
يتجاذبون المجد لم يسعوا لـه	والقوس لاتعطى سوى باريها
خطب بأفرن المقال جليلــة	سماهها لمآرب تطريهـــا
يرمى بها كل أخاه وإنمـــا	يرمى بها الأوطان إذ يرميها
كلم مرددة إذا ماسمعهـــا	سمع الكريم أعادها مبديهـا
أبنى أبى إن العدو يرقـــد	كشفت له الأحقاد عن خافيها
نار لكم منها الحريق ونورهـا	لعدوكم ومجوسكم عبدوهـا
حشد الزمان عليكم أعداءكم	وألدها الفتن التى توريهـا
أو لم تروا كيف انطوت بخلائها	أمم أطاعت فى الهوى غاويهـا

(٣) نقد الكتب (التقريظ):

سبق أن قلنا [١] إن الزين كانت تربطه علاقات ود وصداقة بغيره من المفكرين والأدباء ، وأنه كان يعجب بما يهدىٰ إليه من كتب منهم، ولهذا كان يحتفل بهذه الكتب ، وينظر إليها بعين الرضى لابعين الغضب، وهذا مايتيح لنا أن ننظر فى آثاره من هذه الناحية، لأن الرجل قبل كل شئ قارئ ناضج، وأديب ذواق ، ولابد أن تتجلى ملامحه الأدبية فيما يقول عن هذه الكتب.

---

(١) انظر حديثنا عن (الإخوانيات).

فهو مثلا يتحدث عن إعجابه بكتاب مذكرات جحا للأستاذ محمد فريد أبي حديد فيكتب أبياتا يقول فيها (١):

إن شاقك القصص الجديد   فأمير دولته : فريد
أستاذ هذا الفن مبتكر   وكلهم معيد
يمشون إثر خطاه لو   يقفو خطا النجم الصعيد
يدنو لفكرته إذا   ماراقه المعنى البعيد
يسمو بأجراء الخيا   ل وليس يجهده الصعود
متنقلا فى أفقه   يختار منه ويستجيد
يتألف المعنى إلى   أن يطمئن له الشريد
متلطفا حتى تراه   للبراعة يستقيد
ويصوغه فى لفظه العالى كما تزهى العقود
صوغ المقدر لايقل   اللفظ عنه ولايزيد
ألفاظه فى جيد معنا   ه قلائد لاقيود
نثر به تزكو الطرو   س كأنه الزهر النضيد
فتنت روائعه العقو   ل فليس يبلغه قصيد
يوم نشرت به (جحا)   يوم على القراء عيد

وحين قرأ الجزء الرابع الخاص - بأبي عبادة البحتري - للدكتور محمد صبري مؤلف " كتاب الشوامخ " نراه يعجب برشاقة أسلوب صبري ، ويلحظ الشبه الذي بينه وبين رقة البحتري التي لاتعادلها رقة ، فيقول (٢):

---

(١) الديوان ص ٨٥ .
(٢) الديوان ص ٩٣.

سكرت وليس بدها كان سكرى ... بشعر البحترى ونثر صبرى
وأيهما تراه أرق فنـــا ... وأعمق فى النفوس جمال سحر
ومن فى لفظه أحلى بيانـا ... لعمرك فيها قد حار أمـرى
إذا ماقاز بالتفضيل صبرى ... رأيت البحترى يبل فكـرى
وإن قلت الوليد أرق نسجـا ... أرى صبرى يقول وأين نثرى
فتلك شوامخ عزت وطالـت ... على الفصحاء من : بدو وحضر
فيعنو البحترى له مقـرا ... يقول : صدقت ، نثرك زان شعرى

وقد أهدى الأستاذ إبراهيم مصطفى أستاذ اللغة العربية بالجامعة المصرية كتابه " إحياء النحو " إلى الشاعر ، فأجابه على هديته بأبيات يقول فيها (١) :

لو كان عصرك للمواهب منصفا
لدعاك حقا" سيبويه مصطفى "
أحييت للفصحى لسانا مرهفا
سلت عليه الأعجمية مرهفـا
لو عاصر الدؤلى فضلك لم يكن
للنحو غيرك واضعا ومصرفـا
شرفت بك العرب الكرام وإنهـا
لجديرة بك أن تتيه وتشرفـا
ألقت وديعتها إليك فصنتهـا
لا وانيا عنها ولا متكلفـا

---

(١) الرسالة ، السنة الخامسة ، عدد ٢٢٥ فى ٢٥ / ١٩٣٧/١٠ ص ١٧٤٨.

لله سفر أنت ناسخ وشيـــــه

أزرى بما نسج الربيع مفوقـــا

كم مذهب فى النحو عادى ملهما

فجرى بيانك فى العداة مؤلفـا

وتنكرت سبل الهدى فيه إلـــى

أن لاح نور مجال فيه معرفـا

وربما نتخذ من هذه القصيدة دليلا على المجاملة ، لأن المجال ذو سعة فى النقد، لاسيما وقد دارت بمجلة الرسالة معارك حول هذا الكتاب(١).

والحقيقة أن هذا الفن كان مشتهرا فى عصر الزين ، ولكنه يأتى فى أواخر الكتب أشبه بالمتون العلمية ، وهو فن جديد بالنسبة للزين بالذات ، لأن من قبله كانوا يقولون النظم فى الكتب وكأنه وصف لاشعر ، أما هو فقد ارتقى به من النظم إلى الشعر .

ولعل الزين كان متأثرا فى هذا الفن بأستاذه الشاعر إسماعيل صبرى، فلقد نظم الأستاذ كثيرا فى تقريظ الكتب (٢).

---

(١) انظر الرسالة ، السنة الخامسة(١٩٣٧م) ص ١٣١٨، ١٣٥٩، ١٤٧٨، ١٥٥٧، ١٥٥٩.

(٢) انظر ديوان إسماعيل صبرى صفحات ٢١، ٤٢، ٥١-٥٣، ٥٩ - ٦١، ٦٩، ٧٧، ٨٨، ٨٩.

وقد قرظ كتاب " مختارات البارودى " بعد أن اطلع عليه وتصفحه بعد طبعه [1].

*****

بهذا الإبداع الفنى نظم الزين شعره فى القضايا الاجتماعية ، والسياسية ، والثقافية، التى كان العصر يمرج بها، مما ينبئ عن حبه لوطنه ، وحرصه الشديد على النهوض بالأمة، وأشعاره التى ذكرناها نموذج صادق لما سبق تقريره.

ثالثا: الملامح الفنية :

الزين أبرز شاعر معاصر احتفل بالرواية، وكان يعجبه أن يندمج فى الشعر القديم ويوغل فيه إيغالا بعيدا، وقد أورثه ذلك جمالا فى اللغة العربية، لأنه اختار أجمل مايحفظ، والذين يقرأون ديوانه يعرفون جمال لفظه ، وسحر أسلوبه، وقدرته الخاصة فى استخدام كلمات اللغة استخداما دقيقا.

ونستطيع أن نقول إن روايته للشعر العربى، وافتتانه بالجيد منه ، جعلته يترسم فى نظمه الأول طريق الشعراء القدامى فى البناء الفنى ، كما أن كثرة محفوظاته قد تأتى بتوارد أفكار ، لا لتعمد النقل ولكن لمروره بالتجربة .

---

(١) انظر مختارات البارودى ، تصحيح ياقوت المرسى : ٤/٤٨٥ . طبع مطبعة الجريدة ، مصر ١٣٢٩ هـ .

ونحن نريد أن نتكلم عن الملامح الفنيـة والطابع العـام الذى يتسم به شعره، والذى يميزه بصفة عامة عن شعر من سواه.

(١) صدق العاطفة :

ليس الزين بالشاعر المسجل لما يتناقله الناس، أو الذى يهتف بالشعر مجاراة لأوضاع اجتماعية معينة، كأن مايقوله ليس جزءا من نفسه.

والزين شاعر " لم يكن الشعر جل همه، ولاكل غايته ، وإنما كان لونا من ألوان الإبداع الفنى الكامن فى طبيعته الخصبة ، وروحه الخلاقة المنتجة ... " (١).

ونحن نرى أن كل ما أنشده من شعر لم يكن إلا استجابة لعاطفة صادقة ملحة ، فشعره لم يتجاوز حياته ومشاعره ، فهو يصور واقعه الذى يعيشه ، ويصور إحساسه بهذا الواقع، وهو لايتحدث عن شئ لذات هذا الشئ، وإنما يتحدث عنه من حيث علاقته بهذا الشئ ، وحين يتحدث عن الأمور التى يعنيه الحديث فيها فإننا نجد حديثه تجربة حقيقية لما يحسه ولما يراه حوله.

---

(١) مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، العدد الثالث جمادى الأولى ١٤٠٢هـ مارس ١٩٨٢م ص ١٤٣من مقال للدكتور محمود محمد لبدة عنوانه (أحمد الزين شاعرا).

فالزين شاعر أصيل التجربة، صادق العاطفة ، ونستطيع أن ندرك هذه العاطفة والتجربة التى مر بها فبعثته على القول إذا وقفنا على شعره، وتنقلنا معه في كل غرض من أغراضه ، ولعلنا لم ننس بعد الروائع التى أرسلها فى الشعر الاجتماعى ، وما حفلت به من اضطرام العاطفة وقدة الانفعال .

ونحن نرى تدفق العاطفة فى إخوانياته ، وفى مراثيه ،وفى غزله ، وفى قصائده الاجتماعية، وقد بلغ الغاية حقا حينما توجه فى قصيدته " وطن محتل ، وشعب منحل " (١) إلى الأمة شاكيا إليها ما أصاب البلاد من اضطراب واختلال أوضاع .

لقد وصف فى القصيدة الانقسام ومغباته ، كما صور الائتلاف وما يؤدى إليه من نتائج طيبة، وأخذ يدعو للقضاء على هذه الفتن ، وينادى بالاستقرار ، ويشيد بالوحدة ، يدفعه فى ذلك كله غيرته الشديدة على وطنه مصر ، ورغبته الصادقة فى العمل على حل مشكلة الصراع الحزبى بكل جذورها .

ويستطيع أن يقول من يقرأ القصيدة إنه قد اهتز طربا لهذا التوهج العاطفى الذى فيها ، فلقد هتف الشاعر للوحدة فى فترة من أحلك الفترات السياسية فى تاريخ مصر ، ودفعته عواطفه الاجتماعية لأن يستنهض الهمم، ويوقظ الغافلين ، ويلوم المتخاذلين.

---

(١) يلاحظ تفصيل ذلك فى الشعر السياسى .

والحق أن قصائد الزين الاجتماعية زاخرة بعمق العاطفة ، وقد تجلى صدقها فيما أحدثه هذا الشعر من أثر في نفوس القراء.

ومن قصائده الاجتماعية والتي هي مظهر من مظاهر الحس القوي، والعاطفة الجياشة ، قصيدته " كلمة مصر إلى نوابها "[1]، والتي تحدث فيه إلى نواب مصر وأشاد بهم أن يمضوا بمصر إلى الأمام.

إننا نحس مزيجا من الأسى والحسرة حين نرى الشاعر وهو يسائل هؤلاء النواب، ونحس كذلك أن عاطفة الشاعر قد أثرت فينا فانتقل إلينا انفعال نفسه ، وصرنا نعيش تجربته كما عاشها.

(٢) المعاني :

وأول ما نلاحظ على معاني الشاعر أحمد الزين أنها معان واضحة لا تكلف فيها ولا إغراق في الخيال، ولذلك نرى شعره يتسم بالإشراق والنصاعة، وشعره في مختلف نواحيه شاهد على ذلك .

وإذا ما نظرنا إلى شعر الزين نلاحظ أن من الفنون الشعرية التي صادفت نشاطا واسعا في ديوانه (الشعر الاجتماعي)، وهذه الظاهرة واضحة تمام الوضوح عنده ، ومن هنا يمكننا أن نقول إن أكثر مافاضت به شاعرية الزين يستمد كثيرا من معانيه من القضايا

---

(١) انظر تفصيل ذلك في الشعر السياسي .

الاجتماعية ، ومن نبع الأخلاق والآداب والسلوك ، وما فى الحياة الاجتماعية من اضطراب وفوضى ، فهذه الحياة كانت مجالا فسيحا له ، يجد فيه صورا شتى من الحياة ، اتخذ منها معانيه ، واعتمد عليها في تصوير المجتمع وإبراز ملامحه ، وقد امتد هذا الأثر في كل ناحية من نواحى شعره .

وأبرز مثل لذلك تصويره لاختلال الأوضاع فى قصائده : " خدعة الثناء ، وفتنة الأدعياء " و " الرأى" و " الضمير " و " غربة النبوغ " ، " الملق " و " صرعى الأغراض " و " كلمة مصر إلى نوابها " و " وطن محتل وشعب منحل " وغير ذلك .

وإلى جانب ذلك نحن نرى الزين وبخاصة بعد شبابه وحين مال إلى التجديد فى المعانى يعكف على نفسه يتأملها ، ويستلهمها المعانى ، ومن هنا جاء شعره الوصفى .

ومن ذلك قصيدته فى " وصف القلب " والتى منها [1]:

من للقلب بين الجوانح عـــــان
جمع اليأس والمنى فى مكان
شاعر فى الضلوع يخفق بالمعنى
فيعيا عنه بيان اللســـــان .
كم خيال له يضيق به اللفـــظ
فيسمو إليه بالخفقـــــان

---

(١) الديوان ص ٧٣.

وأمانى فيه كالزهر منهـــــا

ماذوى والقليل فى ريعـــان

أو قصائده التى يتأمل فيها النفس ، والكون ، والحياة ، أو يتحدث فيها عن حيرة النفس فى خضم هذه الحياة من أمثال قصيدة "المسرة" وقصيدة "الساعة" وكلها حافلة بالتأملات العميقة والتصوير البديع .

(٣) الصورة الشعرية :

استمد الزين صوره الشعرية وبخاصة فى شبابه الأول مما تناوله الشعراء من صور فى عصورهم المختلفة ، وسبب ذلك يرجع إلى ولوعه بالثقافة العربية الخالصة ، وميله إلى محاكاة أسلافه ، وحرصه على الاستفادة من معانيهم وصورهم .

كذلك استمدها من المجتمع الذى ملك عليه حسه ونفسه ، ومايضطرب فيه من أوضاع، ومايضج به من مظاهر البؤس والشقاء.

لننظر إلى تصوره الدقيق للساعة [١] :

صديقها الرفق بها   كذات دل نافـــره

لسانها عقــارب   تزحف غير غادره

حسبك من وفائها   نومك وهى ساهره

---

(١) الديوان ص ٧٥.

أو لننظر إلى وصفه للمسرة [١]:

كأن عرض الفضاء فيهـــا ناد بضم الرفاق صحبـــا

ومن هذا القبيل قوله في طاقة الزهر [٢] :

ظلت تنسقها كف منعمـــة تكاد تحسبها من ذلك النســـق

تداعب الزهر في رفق أناملها كالنوم داعب جفن الساهر الأرق

وقد نالت حاسة البصر اهتماما ملحوظا في تصوير الزين، ومن ينظر قصيدته " ابتسامة " [٣] يعجب كيف استطاع وهو مكفوف البصر أن يحفل بالوصف الحسي ، وأن يتفنن هذا التفنن العجيب، ويتحدث عن تجربته من خلال تلك الصور الحسية المشاهدة بالبصر .

ولذلك فيما أرى أسبابه ، فلعل هذا من قوة شعوره بالنقص الحسي الذي أصابه في بصره ، ذلك أنه كان يضيق بهذا النقص، وكأنه يريد ألا يشعر القارئ بأنه كفيف البصر.

ويستمد الزين صوره الفتانة أيضا من لواعج نفسه ونيران صدره . يقول في قصيدته " القبلة الممنوعة " [٤].

---

(١) الديوان ص ٦٧.

(٢) الديوان ص ٦٩.

(٣) الديوان ص ٤٩ . ويلاحظ تفصيل الكلام عن هذا في شعر الغزل .

(٤) الديوان ص ٦٣.

يا غلة الصدر من حر الجوى زيدى
أبت شفاءك حتى بالمواعيـــد
سحرية الفم لو مست بقبلتهـــا
فم العيى لحلت كل معقـــود
تكاد من رقة تغرى مقبلهـــا
أن يحتسيها رحيقا غير مورود
هل حاذرت حر شوقى حين ألثمها
أن تذبل الورد أنفاس بتصعيـد

(٤) بناء القصيدة :

لقد حاكى الزين فى بداية حياته الأدبية الشعراء القدامى، وعارضهم ، وترسم طريقتهم ، ولذلك صدر بعض قصائده بمقدمات تقليدية ، يجعلها غزلا ونسيبا، أو وقوفا على الديار والأطلال ونحو ذلك.

ومقدمة قصيدته النقدية " شعراء العصر فى مصر " التى نقد بها زملاءه من الشعراء توحى بهذا الاتجاه المقلد.

يقول فى مطلعها [(١)] :

تذكر لو يجدى عليه التذكـــر
ورام اصطبارا حين عز التصبـر

(١) الديوان ص ٣٤.

وحاول إخفاء الهوى فأذاعـــه
مدامع لايخفنه معها تستـــر
أيطوى هوى يبديه للناس مدمع
وجفن إذا نام الخليون يسهـر
يقول أصحابى ما رأينا كشوقه
ألا إن ما أخفى من الشوق أكثر

وقد أورد الأستاذ الشيخ عبد الجواد رمضان أبياتا للزين مبدوءة بهذه المقدمة الطللية [١].

قف بالربوع مسائلا أطلالهـــا   أمست يجر بها الصب أذيالها
دمن عفون ، وأصبحت عرصاتها   تزجى بها قلص النعام رئالهـا
ولقد نعمت بها ودهرك مقبـــل   بوعود خود ماخشيت مطالها
دار لبيضاء السوالف طفلـــة   رود تزير على الفراق خيالها
. . . .

وقد قدم للأبيات بمقدمة قال فيها [٢] :

" ومما يبدو فيه المحاكاة ، قوله يمدح " علامة العصر ، وفريد الدهر ، وفخر مصر ، الأستاذ محمد فريد بك وجدى " معارضا مروان بن أبى حفصة فى قصيدته التى أولها : " طرقتك زائرة فحى خيالها " .

---

(١) مجلة الأزهر عدد المحرم ١٣٦٧ ص ٥٢٠.
(٢) مجلة الأزهر عدد المحرم ١٣٦٧ هـ ص ٥١٩.

ولم تكن محاكاة الزين فى مفتتح حياته الأدبية لقصائد الجاهلين والأمويين والعباسيين تقتصر على الاستهلال فحسب ، فقد توافق شعره معها فى الصياغة والتراكيب اللغوية أيضا.

ومن التفسير الحسن لمحاكاة الزين للشعراء السلفيين فى هذه الفترة أنه شاعر محافظ ، يمتلك حسا قويا ومزاجا حادا، وشعورا دقيقا، وكان حريصا على الديباجة القديمة، شديد الاهتمام بإبراز البراعة اللغوية، ومن هنا فطر على حب هؤلاء الشعراء، وانعقدت بينه وبينهم صلة وثيقة ، ومن الطبيعى أن يندفع بحكم هذا إلى التأثر بهم ، وصار هذا سمة ظاهرة فى شعره فى بداية حياته الأدبية.

على أن الزين قد انصرف أخيرا عن التقليد إلى ماعرف عنه من التجديد فى المعانى ، والغوص عليها، فخرج شعره مبتكرا مطبوعا ، نلمح فيه الأسلوب الواضح ، والخيال الرائع ، والحس الرقيق الدقيق، وغير هذا وذاك مما يتضح فى نظراته للشعراء فى شعره النقدى.

والذى يقرأ شعر الزين الذي نظمه مؤخرا حين مال إلى التجديد فى المعانى، يلاحظ أنه يتحدث مباشرة عن الموضوع الذى أنشأ من أجله القصيدة ، من غير تمهيد ، كما يلاحظ أن هذا الشعر قد تحول فى هذه الآونة الأخيرة من نظام القصيدة إلى نظام المقطوعة غالبا.

وننتقل إلى جانب آخر له صلة بالموضوع، وهو أن شعر الزين يتميز بكثرة الأراجيز ، ولما كان الشاعر المكفوف يتأبى على الضيم، ويترفع عن مواطن الصغار ، ويتمسك بقواعد الأخلاق وآداب السلوك، رأينا شعره في الأراجيز يخرج حماسيا، يحدو أبناء الأمة إلى فنون شتى من النصائح والآداب والعادات (١).

(٥) الموسيقى :

لشعر الزين شدة أسر ، ورصانة قافية ، وحلاوة جرس ، وكان الشاعر يرسل الكلام على سجيته ، فيسحر به النفوس ، ويخلب الألباب ، ويستولي على القلوب .

ومن الظواهر الفنية في شعره هذا النجاح الموسيقي، الذي نراه عنده نتيجة لصدق التجربة الشعرية وانفعاله بها ، ومن الحق أن نقول إن هذا النجاح قد لازمه في أغلب ما قال من شعر .

وليس مبعث هذا النجاح صناعة لفظية كانت عند الشاعر، أو تفنن في رص ألفاظ براقة ، بل كان مرده فيما نرى إلى تلك الروح السارية في أجزاء القصيدة كلها، وانطلاق هذه الروح في جو معبر تعبيرا صادقا نحس أثره ونلمسه .

---

(١) انظر من هذا البحث " الشعر الأخلاقي " .

فحين نقرأ قصيدته " وطن محتل ،وشعب منحل " نحس إيمانه بالقيم والمبادئ التى عاش لها ، وآمن بها ، وكافح فى سبيلها ، ثم يعمى أبناء الوطن عنها وينكرونها .

إنه يبدأ متسائلا عن اضطراب الأمور فى البلاد (١):

يا أمة لعب الهوى بنيهـــا	حصدت لها ثمر الردى أيديهـا
سارت سفينتها فلما قاربت	ضلت وحاد عن الهدى مجريها

ونحن نرى بعد قراءة أبيات القصيدة أن الشاعر عاش ثورة حقيقية تأججت بها عواطفه والتهبت مشاعره ، ثم نقلها إلينا فى قصيدته نقلا صادقا فى نغم حاد منفعل هادر، تفيض به كل لفظة من ألفاظ القصيدة من مثل : لعب ، الهوى، الردى، ضلت ، حاد، ... والقصيدةكلها من هذا النغم .

كما أننا نرى أن الشاعر نجح كل النجاح فى المواءمة بين اللفظ والمعنى والانفعال وأن الروح السارية فى القصيدة، والأزمة الحادة التى يعانيها الشاعر ، والتى انتظمت القصيدة قد وجهته إلى أن يختار نوعا معينا من الألفاظ والتراكيب يعكس حالته النفسية من جهة، ويحقق هذا النجاح والانسجام التام بين ألفاظه ومعانيه ، وانفعالاته ، فى صورة موسيقية رائعة ، وهذا هو ما يسميه النقاد بالموسيقى الخفية.

---

(١) الديوان ص ٢٦.

وقد اختار الشاعر للقصيدة القافية التى تحكى بوقعها حالته النفسية، وفى هذه القافية من الدلالة على العزم المصمم ، والثورة العارمة مالا يحتاج إلى بيان .

وإننا لنلمح عمق موسيقاه، وحلاوة رنينه ، ونفاذ سحره فى قصيدته التى تغنى فيها فى وصف حديث صاحبته ، مما يؤكد أن الشاعر صاحب أذن موسيقية ، وأنه شغوف بالموسيقى أيما شغف .

يقول (١) :

ماغناء الراح قد هلت سنينا	حدثينا تبعثى النشوة فينا
فمك الكأس فهاتى نصطبح	من سلاف لذة للشاربينا
أسمعينا نبرات أخجلـــت	وتر العود حنانا وحنينـــا

. . . .

وكذلك نلمح أناقته الموسيقية ، وعذوبته فى الأداء والأسلوب حين نقرأ أبيات قصيدته " العود " تلك القصيدة التى كان قد نظمها بقصد أن تغنى وتلحن (٢).

---

(١) الديوان ص ٥٣.

(٢) مجلة الأزهر عدد محرم ١٣٦٧ هـ ص ٥٢٣ .

يقول فى مطلعها [١]:

لامست فى النفس أوتار هواها ... غادة بالسحر تغزو من غزاها

كلما مست يداها وتـــرا ... حسد الأخر مامست يداهـا

تمنح الأوتار كفا رخصـــة ... أشجت الأوتار من قبل شجاها

ويكاد العود يدمى كفهـــا ... قبلا لو أن للعود شفاهـــا

لحنها يبعث فى ميت المنـــى ... نضرة العمر ومعسول صباهـا

خفقات يخفق القلب لهـــا ... هى أنات فؤادى أو صداهـا

وحنين كاد من رقتـــه ... أن يذهب اللحن فى العود صباها

وشجون طالما أخفيتـــها ... نفذ العود إليها فحكاهـــا

وإلى هنا نرانا قد ألقينا الضوء على شعر الزين (موضوعاته وخصائصه) ، ولم يبق أمامنا سوى التحدث عن الزين ناقدا ، وسنحاول جاهدين فى هذا الفصل أن نبرز خطرات الزين فى النقد الأدبى ، وكيف كان ذا رأى نقدى مسموع ، ملموس الأثر .

---

(١) الديوان ص ٧١.

الفصل الثانى

أحمد الزين الناقد

تمهيد عن التراث النقدى قبل الزين :

يرى الدارس لنقاد مرحلة " التقليد والضعف " التى سبقت البعث النقدى أنهم لم يكونوا " يرجعون فى نقدهم أو مقارنتهم إلى مقياس نقدى صحيح ... " [١].

وحين نتحدث عن الميراث النقدى قبل الزين ، فنحن نرى أنه قد بدأ مع الظروف الجديدة ، والتغير الحضارى والاجتماعى الذى بدأ يسود المجتمع ، حين أخذت عوامل النهضة تؤتى ثمارها ، وتؤثر فى حياة الناس وعقولهم وسلوكهم ، وحين ظهرت المطبعة، وتفاعلت الصحافة مع معاهد العلم ، وأخذت تحدث تطورا كبيرا فى الذوق الأدبى، وتسهم فى إذكاء النهضة الأدبية التى بدأت تؤتى ثمارها بعد النصف الثانى من القرن التاسع عشر[٢].

على أن هذا الميراث قد سار فى اتجاهين اثنين :

الاتجاه الأول : اتجاه كان بمثابة البعث واليقظة لما كان مألوفا فى النقد القديم والمقاييس البلاغية المعروفة عند العرب .

---

(١) عباس العقاد ناقدا ، عبد الحى دياب ص ٢٠ . الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٥ هـ ١٩٦٦م.

(٢) انظر التراث النقدى قبل مدرسة الجيل الجديد ، عبد الحى دياب ص ١١وما بعدها . نشر دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨م.

وقد سلك هذا الاتجاه الطريق القديم الذى سار فيه العباسيون، ورجع بالنقد الأدبى إلى عصور ازدهار العربية فى نقدها وأدبها فى القرن الرابع الهجرى وماتلاه .

والدارس للنقد فى هذه الفترة يرى أن آراء أصحاب هذا الاتجاه قديمة قدم النقد الأدبى فى الأدب العربى، فلقد رجعوا فى نقدهم إلى الوراء ، ورأوا أن المثل الأعلى الذى ينبغى أن يحتذيه الأدباء هو الأدب العربى القديم، ولذلك أخذوا يحاكون القصيدة القديمة فى أغراضها وفنونها ، وأوزانها ، وقوافيها ، وفى قيامها على وحدة البيت ، واستقلال كل بيت استقلالا تاما فى لفظه ومعناه عن سائر أبيات القصيدة.

فآراؤهم قديمة قدم النقد الأدبى، ومن هنا جاء نقدهم لغويا ، يعنى بجزئيات العمل الأدبى ، ولايلتفت إلى وحدته، أو تقويمه فنيا على حسب هذه الوحدة ، فضلا عن تقويمه الاجتماعى، والإلمام بالأصول الفنية الخاصة بوحدة العمل الأدبى [1] .

ومن نقاد هذا الاتجاه المشهورين : إبراهيم المويلحى ، وإبراهيم البازجى ، وأحمد فارس الشدياق ، والشيخ حسين المرصفى ، وغيرهم . وقد حاول هؤلاء تجديد النقد الأدبى كما عرفه القدماء.

(١) انظر مثالا لهذا النقد فى : الأدب الحديث ، عمر الدسوقى : ٢١٧/٢. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة السادسة.

وتطبيق النظريات العربية فى النقد كما عرفها نقاد العصر العباسى على الشعر الحديث " [١].

ويعد " الشيخ حسين المرصفى " من أهم الشخصيات التي قادت حركة البعث ، وهو صاحب الدور الهام فى إنعاش هذه الحركة، وقد استطاع أن يعرض علوم العربية - وبخاصة علوم البلاغة - عرضا جديدا بأسلوب جديد، وقد تمكن بفضل طاقته اللغوية والأدبية أن يعيد بعث المقاييس النقدية والنظرات الفكرية التى أرسى العرب القدامى أسسها ، وخاصة فى عصور الازدهار والتفتح ، وقد ترك أثرا بعيدا فى نفوس رواد النقد الحديث ، وطبع بصماته على كل من جاء بعده من نقاد الأدب ودارسيه [٢].

على أية حال فإننا يمكننا أن نقول إن النقد الأدبى إبان حركة البعث واليقظة وإن كان صورة للاتجاهات النقدية التى كانت سائدة إبان عصور الأدب الزاهية ، فإنه كان يتمتع ببعض الذاتية من جهة والموضوعية من جهة إخرى ، وقد توفر لنقد هذه الحركة مجموعة من الخصائص الجمالية والفكرية [٣] ، ويكفيها أنها فتحت الطريـــــق

---

(١) المصدر نفسه ص ٢١٤.

(٢) انظر تطور النقد العربى الحديث فى مصر ، الدكتور عبد العزيز الدسوقى ص ٥١، ومابعدها . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٧م.

(٣) انظر المصدر نفسه ص ٨٢ ، ٨٣.

أمام حركة أخرى راحت تنشد قيما جديدة وأفكارا جديدة ، وهذه الحركة هى حركة التجديد فى النقد.

الاتجاه الثانى : حركة التجديد:

لاشك أن المناخ الحضارى الذى نشأت فيه تلك الحركة يختلف بعض الشئ عن المناخ الذى بدأت فيه حركة البعث ، فلقد ازداد اتصالنا بالآداب الأجنبية ، وصار هذا الاتصال بمثابة تحول فى العقلية العربية ، والثقافة العربية كذلك .

والحق أنه كان للأحداث الفكرية أثرها فى إقبال رواد هذا الاتجاه على القراءة ، واتجاههم إلى الآداب الأجنبية ، وكان للمجلات والصحف ، والكتب الأجنبية ، والآثار المترجمة فى مصر أثر فى ترويج الثقافة الغربية .

كما كان للظروف والأحداث السياسية والاجتماعية أثرها كذلك ، فقد أخذوا يتمردون على القيم التى كانت مألوفة ، وينزعون عن أنفسهم الثوب التقليدى، ويدعون إلى التجديد فى الشعر .

وعلى أية حال أخذ الشعراء والنقاد المجددون يمتاحون من الثقافات الأجنبية ، مما أدى إلى تهجين الأفكار بالثقافة الجديدة ، حتى بدأت صورة النقد عند هؤلاء تأخذ شكلا جديدا مختلفا عن الشكل الذى كان سائدا فى مطلع حركة " البعث" وتطورت نتيجة

لذلك المقاييس القديمة ، وتحولت إلى نظرات جديدة ومعايير متطورة تفيد من كل الثقافات .

تلك هى الخصائص العامة التى تميز رواد حركة التجديد ، وهذه هى تأثراتهم الأدبية ، ومنابع ثقافتهم . والحق أن هؤلاء قد أحدثوا دويا هائلا فى الحياة الأدبية ، حيث راحوا يلتمسون لنقدهم صورا جديدة غير تلك الصور المألوفة فى النقد العربى ، ولم يعد النقد مجرد تذوق نصوص ، بل تحول إلى مقارنة وتحليل وتفسير ، وبدأ النقاد يتحدثون عن وحدة الأعمال الفنية ، والمعايير التى تحكمها وراحوا كذلك يتحدثون عن أفكار جديدة ونظريات نقدية بمفهومها الحديث .

وعلى أثر ذلك ظهر صراع بين النقاد لايقل شأنا عن الذى كان بين الأدباء ، فلقد انقسموا إلى جماعتين : جماعة محافظة ، وجماعة مجددة ، وترتب على ذلك أن اتجه النقد الأدبى اتجاهين لكل منهما خطه الذى يسير عليه ويدافع عنه .

أولهما اتجاه تقليدى لاتجديد فيه ، وهو اتجاه محافظ يعتمد على التمسك بالتراث العربى ، ويمثل هذا الاتجاه مصطفى صادق الرافعى ، الذى حمل لواء المحافظين ، وعكف على قراءة الكتب العربية القديمة التى تعالج مسائل النقد الأدبى [1] .

---

(١) على أن الأستاذ عمر الدسوقى يرى أن للرافعى نظرات جديدة كل الجدة فى نقد الشعر ، وأن من الظلم وضعه ضمن أنصار المدرسة القديمة فى النقد (فى الأدب الحديث : ٢/٢٨٤ ، ٢٨٥) .

ثانيهما اتجاه متطور ، وأصحاب هذا الاتجاه يرون أنه لابد من الاستفادة من معرفتهم للآداب الأوربية، ومناهج الدراسة فيها فى دراسة الأدب العربى ، ويتمثل هذا الاتجاه فى الموازنة النقدية التى صنعها الشيخ نجيب الحداد بين الشعر العربى والشعر الغربى فى اللفظ ، والقافية ، والمعنى [١] ، كما يتمثل هذا الاتجاه فى المحاولة التى قام بها حسن توفيق العدل والتى تهدف إلى دراسة الأدب العربى وفق المناهج الحديثة [٢].

ويتبع هاتين المحاولتين محاولة نقدية قام بها الشاعر أحمد شوقى فى مقدمة الجزء الأول من ديوانه ، فلقد نعى على الشعر العربى " أنه حصر نفسه فى دائرة المدح ، وأن الشعراء اتخذوا من الشعر حرفة تقوم بالمدح ... " [٣] .

ولم تقف المحاولات التى أسهمت فى حركة التجديد فى ميدان النقد الأدبى عند من ذكرنا ، فهناك محاولات أخرى أسهم بهـــا

---

(١) انظر المصدر نفسه : ٢/٢٢٥ ، ٢٢٦.

(٢) انظر التراث النقدي قبل مدرسة الجيل الجديد ، عبد الحى دياب ص ٩٠ ومابعدها .

(٣) عباس العقاد ناقدا ، عبد الحى دياب ص ٥٢ ، ٥٣ .

خليل مطران، وسليمان البستاني، وغيرهم ممن لو تتبعنا ما كتبوه في نقدهم ومناهجهم لطال بنا البحث [١].

•••••

ونشرع الآن في عرض ما يتسع له المقام من آراء الزين النقدية التي تضمنتها مقالاته وقصائده .

أولا : اجتهاداته في مجال النقد :

الزين شاعر موهوب ، وناقد له منزلته وله رأيه النقدي المسموع، وهو قوي الإحساس بذاته ، وكانت لديه شجاعة أدبية تدفعه إلى التعليق على كل رأي، والاستشهاد بأحسن مايحفظ " وكانت علاقته بمعظم المحدثين من الأدباء مضطربة، لصراحته في إبداء رأيه في أدبهم " [٢] ، ساعده على ذلك أنه صاحب حافظة واعية، ويحمل بين جنبيه عقلا طموحا ، ولديه موهبة تجيد الرواية والنقد والتحقيق.

ويبدو أن هذا الكبت الذي كان يعانيه من كف بصره قد جعله ينفس عنه في خارجه ، فراح يتصدر المجالس بعد صبري ، وقد شجعه مالقيه من مستمعيه على أن يكون ناقد المجلس وصاحب التأييد والتفنيد .

---

(١) انظر " الفصل الثاني " من " الباب الثاني " من كتاب " التراث النقدي قبل مدرسة الجيل الجديد " لعبد الحي دياب .

(٢) الرسالة عدد ٨٠١ في ٨ /١١/١٩٤٨ ص ١٢٦٢.

هذه الظروف التى أحاطت بالزين فى نشأته وتعليمه وعمله في دار الكتب، ثم فى الكتابة ونظم الشعر، تركت أثرها فى نفسه، وخلعت طابعها على نقده ، ومن هنا ضاق به نفر من زملائه، وسامعيه فأعرضوا عن مجالسته، وعرضوه لعداوات ما كان أحراه أن يتجنبها .

ويمكن أن نقول إن الزين قد اتخذ من الصحف والمجلات ميدانا يعرض فيه آراءه ونظراته فى الأدب والنقد، وهى آراء تتردد بين التقليد والأصالة، وقد شهدت مجلة الرسالة نماذج حية من هذه الآراء التى كانت تصدر فى فصول تحت عنوان (النقد والمثال)، كما اتسع المجال فى مجلة الثقافة لأحاديثه النقدية عن كثير من الشعراء، وغير هذا وذاك مما يكشف عن أصالة وافتنان ، كما يكشف عن جهود موفقة فى دفع حركة النقد الأدبى إلى الأمام .

(١) شعره النقدى:

والذى نرى تسجيله هنا أن الزين رائد من رواد النقد بالشعر، وقد جمع فى شعره بين حسه النقدى القوى وطبيعته الفنية المرهفة.

ونحن إذا تتبعناه فى جولاته النقدية، وفى إنتاجه الوفير فى حقل الأدب والنقد ، وجدنا اهتمامه لم يقتصر على صفحات النقد وندوات الأدب ، فإلى جانب مقالاته النقدية نحن نجده يتخذ من قصائد ديوانه ترجمانا لآرائه النقدية.

فالزين له شعر ملئ بالخواطر النقدية ، وقد أشار فيه إشارات نقدية موجزة ، وأصدر فيه أحكاما يزن فيها شعراء العصر وكتابه ومفكريه [١] ، ويضع كل واحد منهم فى المكان الذى يستحقه ، كل ذلك فى أسلوب يجمع بين الذوق الفنى الصائب والنظرة الفنية المحكمة ، والشاعر يسوق ذلك كله مساقا فنيا يحببه إلى النفس، ويقربه من الوجدان .

وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على أن الزين وجه الأذهان إلى نمط جديد من النقد يعد أقوى أثرا وأبلغ صدى من نقده النثرى، ذلك هو النقد الشعرى.

ومن الخير لدارس شعر الزين النقدى أن يرجع إلى قصيدته " شعراء العصر فى مصر " تلك التى نظمها فى مفتتح حياته الأدبية ووضع فيها شعراء عصره فى ميزان تقديره ، فكانت " أول قصيدة فى الأدب العربى تزن الشعراء بميزان النقد " [٢].

وأذكر أن الزين لم يتهيأ له أن يعطينا فى هذا الشعر دراسة نقدية مفصلة عن الشعراء الذين تحدث عنهم ، وما فى شعرهم من قيم فنية ، فكل الذي نظمه فى هذا الصدد لايعدو أن يكون خطرات سريعة وأحكاما مجملة يعوزها وينقصها البرهـــان والتطبيـــــــق

---

(١) انظر ثانيا وثالثا من هذا الفصل .

(٢) نظرات أدبية ، للدكتور محمد رجب البيومى : ٩٩/٣.

واستعراض النصوص ، فهى أشبه شئ بما توارثناه عن الأقدمين من أمثال قولهم :

" أشعر الشعراء امرؤ القيس إذا ركب ، والنابغة إذا رهب ، والأعشى إذا طرب " .

والحقيقة أننا نراها نقدا بقدر مانراها تعريفا ومحاولة لتسليط الأضواء ، وبسط قضايا للنظر ، وهى محاولات من النقد الشعرى تعتمد على الإثارة العاطفية ،وتخاطب عقل القارئ وعاطفته معا ، وربما يبلغ بها المتلقى ما يريد من التوجيه الدافع إلى البحث مالا يبلغ بغيرها .

والذى يذكر للزين أن شعره النقدى لم ينقلب إلى نظم موزون ، ولم يسق أحكامه النقدية فى هذا الشعر سياقا علميا ، ولكنه نزع فى نقده إلى طريقة أهل الفن ، فصدر عن نبع متدفق ، وذهن وقاد وذوق حساس، وأناقة فنية ، وحكم عن رأى أصيل ، ونظرة سديدة يدلان على ثقافة عميقة وإلمام شامل بالشعر العربى وتطوراته، ولهذا لقيت قصائده فى هذا الغرض - وعلى وجه الخصوص قصيدة شعراء العصر فى مصر - رواجا كبيرا فى الأوساط الأدبية .

والدارس لنقد الزين لابد أن يذكر أن نفرا من الشعراء لم يرقهم أحكامه ، وكثيرا مابرمت أنفسهم بآرائه النقدية التى كان يتناولها بين الحين والحين، وقد عز على أحدهم وهو الدكتور أحمد زكى أبو شادى أن يصرفه التجديد فى الشعر والتفرغ للفن عن معارضة الزين فى الوقت الذى زاد فى ثورة نفسه أن يرى فى هذه الآراء ما يخالف مذهبه الشعرى ، ومن هنا كان تصديه لمعارضة الزين مرات كثيرة قبل أن يصدر أبولو، وبعد أن أصدرها [١].

(٢) رأيه فى التجديد فى الشعر :

إذا نظرنا إلى شعر الزين ، وإلى مقدمات بعض قصائده التى نظمها فى نشأته الأولى ، رأينا أن نضعه فى جماعه المقلدين الذين يرون فى الصياغة الفنية موضعا للتفوق البيانى ، وإذا نظرنا إلى ماعرف عنه أخيرا من التجديد فى المعانى والغوص عليها رأيناه من المقلدين المبتكرين .

وأياما كان الأمر فالزين شاعر شارك شعراء عصره فى كل ماخاضوا فيه ، وله دراسات نقدية تحدث فيها عن زملائه المعاصرين، مما يشهد له بطول الباع فى نقد الشعر والوقوف على أسراره .

---

(١) انظر دراسات أدبية للدكتور محمد رجب البيومى : ١٩٨/١.

وللشعر عند الزين مفهوم استوحاه من دراسته، كما أن له منزلة لايعرف قيمتها إلا شاعر موهوب . إنه يعلن عن رأيه في معركة التجديد ، فيعيب على المندفعين مع تياره بلاروية ولاتبصر، ويرى فى دعوتهم قضاءعلى الأدب الحى ، وخاتمة مفجعة للشعر الخالد .

ولندع له المجال ليحدثنا عن التجديد الشعرى حسبما يراه ، يقول [١] :

" وثمة أمر آخر هو أمر نكاية فى الأدب ، وأبلغ فى هدمه ، وهو أن أكثر هؤلاء النقاد يقيسون الأدب العربى بمقاييس الأدب الغربى ، فيطلبون إلى الشاعر المصرى العربى أن يحاكى شعراء الغرب فى أغراضهم ومعانيهم، وإن كان أكثرها لايلائم بيئته ، ولايجرى مع قانون حياته ، ولايتفق بوجه مع الطبيعة الشرقية، وأطالوا فى اتهام من خالفهم بالجمود ، وضيق الأفق الفكرى، حتى حاول بعض الشعراء الناشئين تكلف هذه المحاكاة مراغمة لشعور القلب وإحساس الفؤاد، وإرضاء لهؤلاء النقاد فخرجت قصائدهم لاشرقية ولاغربية ، مشوهة الصور ضعيفة الأثر ، كالحة الظاهر ، جوفاء الباطن ، لم تصور إحساسا فى فرد ولا فى جماعة، ولم تعبر عن شعور فى الأمة ولا فى الشاعر نفسه ، فلم تسترع هذه القصائد سمعا ، ولم تجتذب إليها قلبا ، ولولا طائفة قليلة أمسكت

---

(١) مجلة الرسالة ، عدد ١١٤فى ١٩٣٥/٩/٩م ص ١٤٧٤ .

بسلسلة البيان أن تنقطع ، وآوت إليها طرائد الشعر العربى، وصبرت وصابرت فى مدافعة هؤلاء المستغربين في شرقهم ، وصانت ذخائر العرب - وأخصها اللغة - حتى تسلمها إلى طائفة أخرى مثلها ممن قوى فى نفوسهم شعور القومية ونظروا فى الأدب العربي نظرة واسعة منصفة ، فعرفوا من نفائسه مالم يعرف سواهم ، لولا هؤلاء لأفل نجم البيان العربي عن هذه البلاد ، ومات الشعر أو كاد".

فهو يقول إن دعاة المذهب الجديد فى شعرنا العربى المعاصر قد اتصلوا بالأدب الغربى اتصالا شديدا ، وحاكوا شعراء الغرب في أغراضهم ومعانيهم ، واحتذوهم احتذاء كاملا بالنقل والترجمة والتلخيص .

ولعل رأى الزين هذا نافذة نطل منها على بعض أنصار التجديد الذين لم يكونوا أصلاء فى تجديدهم فراحوا يزيفون مشاعرهم ، ويقلدون مذاهب الأدب الأوربى من غير أن يكون ثم داع لهذا التقليد .

والأمر الغريب أن الترجمة قد كثرت فى هذا العصر كثرة عجيبة ، وراحت المجلات الأدبية تحمل مشعل الترجمة فى كل الفنون، وأخذت تغص بالموضوعات والقصص المترجمة [1]، وهذ

---

(١) انظر فى الأدب الحديث ، للأستاذ عمر الدسوقى : ٢/٦٥-٦٧ مطبعة الرسالة القاهرة الطبعة الثالثة ١٩٥٩م ، نشر دار الفكر العربى

يعنى أن بعض أدبائنا أخذ يتأثر بمذاهب الأدب الأوربى ، وظهر هذا التأثر فى أسلوبهم الشعرى، وفى معانيهم ، وفى خيالاتهم ، بل إن بعض كبار الأدباء والكتاب قد أسرف فأخذ ينقل مقالات عن الآداب الأوربية، وينسبهم بها فى المجلات الأدبية ، وقد بلغ هذا ببعضهم درجة جعلته يسطو على الشعر الغربى، وينقل منه القصيدة موضوعا وعنوانا، وأبياتا، أو على الأقل معظم الأبيات (١).

ولاشك أن الزين قد بالغ فى تصوير شعوره نحو الشعراء المجددين، وهذه المبالغة عينها تؤكد انحيازه لأصحاب الديباجة انحيازا دفع به إلى مهاجمة مخالفيهم . وما أحسب أن كل الشعراء المجددين كما قال الزين ، فلبعضهم الفضل فى توجيه الشعر العربى الحديث و جهة جديدة.

وحسبنا أن نقول مع الدكتور رجب البيومى (٢).

" ان دعاة المذهب الجديد فى الشعر المعاصر لم يذهبوا إلى احتذاء الشعر الأوربى احتذاء مطابقا ، بحيث تقتصر مهمة الشاعر على التقليد والترجمة، وإنما حفظ هؤلاء النقاد ضوابط الشعر القديم، وأضافوا إليها ما وجدوه ضروريا من صحة التجربة، والتزام

---

(١) انظر فى الأدب الحديث ، عمر الدسوقى : ٢/٦٥، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، مطبعة الرسالة ، الطبعة الثالثة ، نشر دار الفكر العربى.

(٢) دراسات أدبية : ١/١٩٩.

الوحدة العضوية وصدق الإحساس ، وطلاقة التعبير بحيث لايتقيد فى قوالب خاصة ، تومئ إلى أصول متشابهة فى التراث القديم ، وقد تم لهم ما أرادوه فانتقل الشعر العربى على أيديهم من العموم إلى التحديد ، ومن الاحتذاء إلى الاستبطان والاستشفاف ".

والدارس لبعض محاولات شعراء التجديد وتجاربهم الشعرية فى العصر الحديث يجدهم يحاولون تمثل التراث الغربى من ناحية، ومحاولة التخلص من سيطرة التراث العربى، أو إعادة النظر فيه من ناحية أخرى . ومن خلال هذه النظرة تجاوز بعضهم فى اللغة ، وتعمد الخروج على الألفاظ والأساليب العربية [١] ، وتنكر لأدبنا العربى ، وأنكر مايتضمن من قيم ، وراح يطلب باسم التجديد مايعد خارجا على كل موروثات القصيدة العربية .

وقد تصدى الزين لهذا اللون من التجديد ، وأخذ ينبه إلى أخطاره ونتائجه ، وما يكتنفه من تكلف وإبهام وتعقيد محير للأفهام ، وحث على البيان المشرق والصياغة الصافية، فقال [٢]:

---

(١) انظر الشعر العربى المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، للدكتور عز الدين إسماعيل ص ١٧ ومابعدها . دار العودة ودار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٢م.

(٢) مجلة الرسالة ، عدد ١١٨ فى ٧/ ١٠/ ١٩٣٥م ص ١٦١٥.

" و إنك لتجد فقدان اللغة الشعرية فى شعر كثير من شعراء عصرنا ممن لايرون للبيان اللفظى أية قيمة فى الشعر، ويرون المعانى هى كل شئ ، ولو أديت بأسوأ لفظ وأضعف بيان .

وقد سبق فى بعض الفصول أن ذكرت للقراء قول بعضهم فى حسن النظم والصياغة اللفظية مانصه : إنه كمال أدنى إلى النقص ، وإحسان أقرب إلى الإساءة . وقول الآخر فى حسن الصياغة اللفظية أيضا: لقد انقضى عهد الثرثرة والصياغة اللفظية ، ولن يكون الشعر الجديد شرابا يسقى بالملعقة فى غير جهة لمتناوله ، فتراه يسمى حسن البيان والصياغة اللفظية ثرثرة ، ويقول : إن عهد ذلك قد انقضى! كبرت كلمة يقولها هذان الكاتبان وأمثالهما ، إن يقولون إلا خطأ يمليه العجز والغرض ".

ونراه - وهو الأزهرى الشديد الغيرة على التراث العربى - يسخر من الحمى التى أصابت البعض رحملته ينهج نهج الشعر العربى، ويخرج بالقصيدة إلى أبواب واسعة من التجديد، ويتحرر من الوزن والقافية ، بحجة أن الالتزام بهما قد يكون على حساب الصدق فى التعبير عن العواطف .

يقول عن الوزن والقافية (١) :

" على أن بعضهم قد يتركهما مبالغة فى التجديد ، محتجا بأن ذلك نوع من التقييد " .

وفى موضوع آخر يعاود الزين هجومه على أدعياء التجديد، ويتهكم بهم لمخالفتهم لمذهبه الأدبى ، ويسوق نقداته اللاذعة شعرا ، وهو فى كل هذا يحاول أن ينسب الفضل لأهله من باب الوفاء والعرفان بالجميل .

ففى رثائه للشاعر إسماعيل صبرى نراه يقول (٢) :

يا أيها الناعى رويدك إنــــه
ركن القريض هوى وطود زعزعــا

يا هاجعا ملء الجفون وقد حمى
عين القوافى بعده أن تهجعــا

من ذا يصرعها ويحكم نسجها
هيهات لاقى الشعر بعدك مصرعـا

أم من يروض عصيها ولقد ثوى
فى الترب من راض العصى وأخضعا

أيغيض طبعك فى التراب وطالما
روى الجديب فعاد خصبا ممرعـا

---

(١) مجلة الرسالة عدد ١٢٠ فى ٢١ / ١٠/ ١٩٣٥م ص ١٦٩٤.

(٢) الديوان ص ١١٣.

وفى رثائه لشاعر البادية محمد عبد المطلب نراه يبارك نسجه على منوال الأقدمين ، واقتفاءه لآثارهم ، ويؤيد تعصبه الشديد لسلف هذه الأمة وشعرائها وتراثها، ثم يعلن رأيه فى أدعياء التجديد الذين يجحدون تراثنا العربى، ويهيمون بالأدب الأوربى ، ويبالغون فى الاحتفال به ، وفى الوقت نفسه يخدعون العقول الضعيفة بأمثال تلك الدعاوى التى تستخف بالناشئين من طلاب الأدب ، يقول (١) :

كم ذاد عن حوزة الفصحى دعاة هوى
تكاد فتنتهم تردى بها بـــــددا

جيش تجمع يبغى الهدم معتزمـــا
فإن طلبت بناء لم تجد أحـــــدا

حق كل ألكن معقود اللســـان رأى
أن يستر الجهل بالإزراء فانتقدا

يهيم بالغرب لم يقرأ له أدبـــا
ويجحد العرب لايدرى الذى جحدا

وكل ماعنده كتب يحدثهـــا
لم يدر مما حوت غيا ولارشـــدا

وقصة لم يزد عن علم أولهـــا
وطار يملأ إعجابا بها البلـــدا

مقلدون سروا فى ليل جهلهـــم
تهوى الفيافى بهم سعيا لغير مدى

ومن أضاع تراثا من أبوتـــه
لم يستفد من سواهم قدر مافقدا

---

(١) الديوان ص ١٢٧ - ١٢٨ .

وفى ذكرى الشاعر حافظ إبراهيم (١٥ ١٩٣٧م) يقف الزين مع نفر من الشعراء فى مهرجان شعرى كبير، فيؤكد صلة الأدب ورحم الفن ، ويحيى شاعر النيل ويذكر مآثره، وما كان له من دور فى الحياة ، ونراه يتخذ من هذه الذكرى فرصة يتهكم فيها بالمجددين وبالشعر الجديد، ويظهر ضيقه منه ، كما يظهر تحسره وترحمه على أدعيائه ، ويعتبره أداة للهدم والتخريب ، فيقول فى أبيات ساخرة مقارنا شعر حافظ بشعر (المجددين)[1]:

فذاك جلال الشعر لاشعر عصبة
يطالعنا تجديدهم بالعواصب

هم جدرى الشعر أذووا جماله
بما ألصقوا فى حسنه من معايب

عناوين كالألغاز حيرت النهى
وما تحتها معنى يلذ لطالب

وكم دافعوا عن مذهب العجز جهدهم
فما غسلوا أسراء تلك المذاهب

. . . .

أكل مُتاع كاسد عند غيركم
يروج لديكم بابلاد الأعاجب

وكل أخى زيف نفاه سواكم
يرى فيه من أخباركم ألف راغب

لقد راج دجل الشعر عند رجالكم
كما راج دجل السحر عند الكراعب

---

(١) الديوان ص ١٢٢، ١٢٣.

والحق أن لأبيات الزين هذه رنينا يجلجل فى أعماق السامعين ، وسرعان ماغلب عليها ظرفه، الأمر الذى يجعل من يسمعها يرحب بها ، ويعجب بما فيها من تهكم ظريف، وخفة مرحة مع ماتحمله من صائب النقد وصادق التوجيه .

والذى يسترعى انتباه من يطالع مراثى الزين فى الأدباء والشعراء ، أنه عنى عناية خاصة بإثارة بعض القضايا الأدبية ، وبخاصة قضية التجديد فى الشعر، كما أنه يتخذ من هذه المراثى ميدانا يفاضل فيه بين أدبنا العربى والأدب الغربى[1] .

هذا عرض سريع لرأى الزين فى التجديد ، وهو رأى لايدل على جمود صاحبه ولاعلى تعصبه الشديد ، ولعلنا نستطيع أن نخلص من هذا بأنه - مع اعترافه بمكانة شعراء الديباجة ومحافظته على هذه المكانة - لايقف فى وجه التجديد ، ولايرفضه ، فهو لايحارب المجددين الصادقين الذين تجديدهم تجديد العقلاء لاتجديد السفهاء.. تجديد من يحاول أن يصل حاضره بماضيه، وأن يتخير مايزود به أدبه .

أما أن يكون التجديد دعوة إلى الأخذ بمذهب خاص من مذاهب الأدب الغربية ، من غير أن يكون ثمة ظروف تضطرنا إليه ، أو أن يكون دعوة إلى التنكر للصياغة الرفيعة حرصا على المعانى

---

(١) انظر شعر الزين فى ذكرى تيمور باشا (الديوان ص ١٣٢).

الموهومة أو المسروقة من أدباد الغرب ، وإن أدى ذلك إلى الإسفاف والسخف والركاكة ، فكل ذلك ليس من التجديد فى شئ .

فالزين لايروقه أن يكون التجديد دعوة إلى اعتناق نظريات ملفقة متنافرة من مذاهب شتى ، من غير مراعاة لمزاج الأمة العربية وطبيعة الشعر العربى ، ولايروقه الاندفاع المطلق وراء الآداب الغربية ، والإيغال فى اقتفاء آثار مذاهبها .

وهو يريد التجديد تجديدا متأنيا ، قائما على أسسه السليمة الأصيلة . فليس التجديد فى الأدب أن تقطع صلة حاضره بماضيه ، وتزرى بمقوماته ، فإن ذلك بناء يوشك أن ينقض ، ونبت لايلبث أن يذبل ويموت .

(٣) تفسيره للعمل الأدبى :

(أ) من حيث الشكل :

أثار الناقد أحمد الزين القضية النقدية التى شاعت بين الأدباء والنقاد قديما وحديثا ، والتى كانت تسمى فى النقد العربى القديم (قضية اللفظ والمعنى)والتى نسميها اليوم (قضية الشكل والمضمون) [١] ، وسنحاول أن نلم بأقواله إلمامة موجزة نطل منها على تطور القضية عنده وآرائه فيها .

---

(١) راجع " قضايا النقد الأدبى الحديث " للدكتور محمد السعدى فرهود ص ٢٦ ومابعدها . دار الطباعة المحمدية ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م ، و " فى النقد الأدبى " للدكتور شوقى ضيف ص ١٦٣ومابعدها ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ١٩٦٢م (مكتبة الدراسات الأدبية) ، و " المدخل إلى النقد الأدبى الحديث " للدكتور محمد غنيمى هلال ص ٢٩١ ، الطبعة الثانية .

لقد أبدى رأيه فى لغة الشعر وهو يتحدث عن البيان اللفظى، وذكر أن الثوب البيانى من أهم مايتفاوت به الشعراء فى مراتبهم ودرجاتهم ، وأثنى على أصحاب النصوص الذين تكون ألفاظهم مختارة منتقاة ، مناسبة لموضوعها ، فيها علوية وفخامة ، خالية من الغرابة والتنافر ، وليست سوقية مبتذلة بالتداول .

لقد بدأ حديثه عن الألفاظ فذكر أنها " من أهم ما تتفاوت به منازل الشعراء، وتتمايز درجاتهم في الشعر، وتتفاضل به أذواقهم الفنية فى أداء المعنى وبلوغ الغرض" (١).

ويشير إلى وحدة العمل الأدبى ، وأن بين اللفظ والمعنى تلازما دقيقا فيقول (٢) :

" فبحسب مايكون ذلك الثوب مقدرا على المعنى ، محيطا بأطرافه، مقيساً على أجزائه ، وتكون تلك الصورة اللفظية مظهرة للغرض ، مبرزة لخفايا المعنى، مصورة لدقائق الفكرة ، ومايودعه الشاعر بفنه فى تلك الصورة من الحياة والسحر ، ومايترقرق فى الكلمات والعبارات من ماء الجمال ، ورونق الحسن ، وطلاوة المنطق أقول : بحسب ذلك كله يكون أثر الشاعر فى القلوب، وسلطان شعره على قرائه ، ومنزلته فى الفن بين نظرائه ".

---

(١) مجلة الرسالة عدد ١١٨فى ٧/١٠/١٩٣٥ ص ١٦١٤.
(٢) مجلة الرسالة ، عدد ١١٨ فى ٧/١٠/١٩٣٥م ص ١٦١٤.

ويقول (١) :

" إن الصلة بين المعانى والألفاظ أشد وأقوى من الصلة بين الألفاظ والكتابة ، إذ المعانى لاتؤدى بدون العبارات ...." .

ويحتاط الزين لنفسه وهو يشجع على تحسين الألفاظ وتجميل العبارات فيقول (٢):

" وليس المراد بتحسين الألفاظ وتجميل العبارات هو مجرد جريانها على قواعد اللغة ، وموافقتها لنصوص المعجمات ، فليس كل ماتبيحه اللغة وقواعدها يباح فى الشعر استعماله ، ويسوغ للشعراء التعبير به .. إذ الشاعر إنما يقصد فى شعره إلى الروعة والجمال وعدم الابتذال أكثر من قصده إلى مجرد جواز الاستعمال ".

فهو يرى أن اللغة الشعرية هى التى تصل إلى درجة الروعة والجمال، وترتفع عن السوقية والابتذال .

وتتأثر لغة الأدب عند الزين بمايأتى :

" اختلاف الطبائع والملكات الفنية ، فسلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع " والفروق الدقيقة بين ألفاظ هذه الصناعات الثلاث وعباراتها لايدركها إلا من له ذوق صحيح وملكة فنية فى إحدى هذه الصناعات أو فى جميعها "(٣).

---

(١) مجلة الرسالة ، عدد ١٢٠ فى ٢١/١٠/١٩٣٥ ص ١٦٩٣.
(٢) مجلة الرسالة ، عدد ١١٨ فى ٧/١٠/ ١٩٣٥ ص ١٦١٤.
(٣) مجلة الرسالة ، عدد ١١٨ فى ٧/١٠/١٩٣٥ص ١٦١٤، ١٦١٥.

• اختلاف جنس ونوع العمل الأدبى ، حيث إن للشاعر لغة خاصة غير لغة الناثر ، فإنه " مما لاينازع فيه ذو ذوق أدبى دقيق أن للشعر لغة خاصة يتميز بها عن غيره ، إذا فقدها لايسمى شعرا بل يسمى كلاما عروضيا ، أى أنه يشبه الشعر فى وزنه وقافيته ، دون ألفاظه ولغته ، كما أن لكل من الكتابة والخطابة ألفاظا خاصة يتميز بها كل منهما عن صاحبه ، ويتميزان بها عن الشعر " (١).

(ب) من حيث المضمون :

وقد يخيل للبعض من أصحاب النظرة السريعة أن حديث الزين عن الألفاظ ذات البيان والتأثير إنما يدل بأى حال من الأحوال علي أن فضيلة البيان عنده إنما ترتبط بالألفاظ ، وأنه كان ينتصر بوجه أو بآخر لها ، ويعدها المناط الذى يجب أن ينصرف إليه المنشئ ، يتخيرها ، ويجلوها ، ويصوغها .

وقد فاتهم أن الأدب نوع من الإبانة ، وآلة للتواصل الفكرى والوجدانى ، وأن نجاحه يكون على قدر نفاذه إلى عقول سامعيه، وتأثيره فى نفوسهم ، وأن العرب كانت تخص الشعر بفضل تهذيب، وتفرده بزيادة عناية .

---

(١) مجلة الرسالة عدد ١١٨فى ٧/١٠/١٩٣٥ ص ١٦١٤.

فالزين يعلم أن للشاعر لغة خاصة غير لغة الناثر ، فلابد عنده من كلمات تفى بالمعنى المراد إيضاحا وتصويرا وجرسا، حتى يظهر بذلك فى أجمل الحلى وأزهى الثياب .

وعلى هذا ما أن نجده يوفى الألفاظ حقها حتى يعقد فصلين متتابعين عن المعانى ، بدأ الفصل الأول بحديث عن قيمتها فقال(١) :

" إن المعنى هو قوام الشعر والعنصر الأول من عناصره ، بل هو الشعر نفسه ، وما حرصنا على تحسين الألفاظ وتجميل العبارات إلا ليظهر المعنى فى صورة فاتنة تجعل القلوب أشد قبولا له ، وأقوى تأثرا به ، وينطبع فى أذهان الحفظة والوعاة ، ويخلد على ألسنة الرواة ، فلا ينال منه تعاقب الزمن ، ولاتمحوه عوادى المحن، تلك هى ميزة الشعر التى اختص بها من دون النثر " .

ويوضح العلاقة بين المعانى والألفاظ فيذكر أن " المعانى الشعرية لابد فى تأديتها من حسن الألفاظ ، وعذوبة العبارات ، وجزالة التراكيب ، وقوة النسج واطراده " (٢).

---

(١) الرسالة عدد ١٢٠ فى ٢١ / ١٩٣٥/١٠ ص ١٦٩٣.
(٢) الرسالة عدد ١٢٠ فى ١٩٣٥/١٠/٢١ ص ١٦٩٣.

وكما ذكر الفروق بين الألفاظ في الصناعات الثلاث (الشعر والكتابة والخطابة) نجده يذكر " أن المعنى الواحد تختلف صوره باختلاف تأديته في هذه الصناعات الثلاث" (١) .

ومن الملاحظ أن الزين قد جرى في حديثه عن المعنى في هذا الفصل الذي عقده له على منهج النقادالعرب، وعلى مايعرفه الدارسون ، وقد دعم كلامه باستشهادات لما يختاره من نماذج شعرية .

وله مقال نقدي آخر تحدث فيه عن المعنى ، وأضاف فيه إضافات جديدة ، وهو يحتاط حين تحدث عن المعاني في هذا الفصل كما احتاط قبل حين تحدث عن الألفاظ .

إنه يقول (٢) :

" ولست أريد بالمعنى أي معنى يخطر بالخاطر ، وأول ماتتحدث به نفس الشاعر ، والحقائق المجردة الأصلية التي تقع في الفكر لأول مرة قبل أن تتصرف فيها الملكة الفنية ، فإن ذلك لايسمى شعرا وليس منه في قليل ولا كثير ، لأن هذه المعاني مشتركة بين جميع الأذهان، ولا فضل للشاعر فيها على غيره " .

---

(١) الرسالة عدد ١٢٠ في ٢١/١٠/١٩٣٥ ص ١٦٩٤.

(٢) الرسالة عدد ١٢١ في ٢٨ / ١٠/١٩٣٥ ص ١٧٣١.

ويمضى يضرب الأمثلة بأشعار لحافظ إبراهيم وأحمد شوقى[١]، ويذكر أن معانيها مشتركة بين جميع الأذهان ، وهى تشبه الأخبار الصحفية المنشورة فى مختلف الصحف ، وهو بهذا يمهد للحديث عن القصائد المسجلة للحوادث والمناسبات ، فيراها "لايذوق الأديب فيها للشعر طعما ، ولايحس له فيها عبثا ولا أثرا"[٢].

ثم يشير إلى أن الحقائق المجردة لاتكفى فى نظم الشعر، ولكن ينبغى أن تتصرف فيها ملكة الشاعر وتظهرها فى صورة بيانية تفعل فعلها المؤثر فى النفوس ، يقول [٣] :

" فإذا تصرفت ملكة الشاعر فى تلك المعانى الأصلية ، وتناولتها بأناملها الرقيقة الصناع ، فأضافت إليها شيئا من جمال الشعر وروعته ، وسحر الفن وفتنته ، ومزجتها بخيال مستعذب ، أو تعليل مستحسن ، أو تشبيه رقيق ، أو مجاز غريب ، أو تصوير فاتن ، أو وضع حسن ، أو ترتيب جميل ، أو حرارة تحيى العاطفة وتستثير الشجن ، أو روح فيها تحرك الحاسة وتجتذب الشعور، أو غير ذلك ، تحولت تلك المعانى الأصلية إلى معان شعرية تحسب أن صاحبها قد اخترعها ، ولم تكن معروفة لأحد قبله ، ووقع الشعر من القلوب موقعه ، وأصاب من كل نفس موضعه ".

---

(١) انظر مجلة الرسالة ، عدد ١٢١ فى ١٩٣٥/١٠/٢٨م ص ١٧٣١.
(٢) مجلة الرسالة عدد ١٢١ فى ٢٨ / ١٩٣٥/١٠ ص ١٧٣١.
(٣) مجلة الرسالة العدد نفسه والصفحة نفسها .

أجل ، نحن نتفق معه فى أن الصورة الشعرية وسيلة من وسائل التأثير والإيحاء ، وهى- وبخاصة إذا كانت محكمة متقنة - الوسيلة المرغوبة عند الشاعر ، وأصدق تعبير عما يجول فى نفسه من خواطر وأحاسيس ، ثم هى أدق وسيلة تنقل مافيها فى إيجاز ، والشعر كله يستعمل الصور ليعبر بها عن حالات نفسية غامضة لايستطاع بلوغها مباشرة ، أو من أجل أن تنقل الدلالة الحقة لما يجده الشاعر (١).

فوظيفة الصورة هى التعبير لا الزخرفة ولا التنميق ، إنها تعبر عن العالم الداخلى للشاعر ، وجميع النقاد المحدثين متفقون علي ذلك بلا استثناء تقريبا ، وهذا شئ لاشك فيه إذا ماتوصلنا إلى المفهوم الصحيح للعلاقة بين الشكل والمضمون وما بينهما من عضوية وتفاعل واتحاد (٢).

ونحن نختلف مع الزين فيما ذهب إليه (٣) من تعليقه التأثير النافذ بالصور البيانية ، لأننا لو سلمنا بذلك لصارت النتيجة أن التأثير لايتم فى القصيدة إلا إذا اعتَمدت على الصور الشعرية ، ولصار كل شاعر مطالبا حتما بأن تكون قصيدته محتشدة بالتصوير

---

(١) انظر الصورة الأدبية ، لمصطفى ناصف ص ٢١٧ . مكتبة مصر .

(٢) انظر الأدب فى عالم متغير ، للدكتور شكرى عياد ص ٥ . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧١م.

(٣) لمزيد من الإيضاح انظر : دراسات أدبية ، للدكتور محمد رجب البيومى: ٢٠٢/١ ، ٢٠٣.

من بدايتها إلى نهايتها ، بحجة أن التصوير لايكون إلا بغير الحقيقة، أو بحجة أن الحقيقة أقل بلاغة من التصوير ، فالحقيقة فى واقع الأمر من وسائل التصوير القوية ، وقد يبلغ بها الشاعر مالا يبلغه بمجازاته إذا عرف كيف يستغلها بمهارة وتوفيق، وقد تكون الكلمة أو العبارة مصورة لموقف الشاعر وحاملة لتجربته دون أن تكون مجازية ، وهناك الكثير من القصائد الجيدة خالية تماما من التصوير ، وتبلغ الغاية فى الإقناع والتأثير .

ولاينبغى أن نغفل فى هذا المقام أن الزين قد استدرك على قوله هذا بقول آخر ذكره فى فصل نقدى آخر عنوانه " الجمال الذاتى فى بعض المعانى البسيطة " ، يقول فيه [1]:

" إن بعض هذه المعانى الأصلية التى لم تتصرف فيها ملكة الشاعر قد يكون الحسن فيها أصليا ، والجمال من ذاتها ، فإذا تتصرف فيها ملكة الشاعر تصرفا كثيرا ولاقليلا ، ولا تتكلف فيها تحسينا ولا تجميلا ، بل إن تصرف الشاعر فيها قد ينقص من جلالها ، ويشوه من جمالها، ويحجب هذه الطبيعة الجميلة بشوب من التكلف يحول بينها وبين مشافهة الأذواق بجمالها، ومباشرة الإحساسات بتأثيرها.

ويضرب الأمثلة لذلك بأبيات لأبى الطيب المتنبى، إذ يقول[2]:

(١) مجلة الرسالة ، عدد ١٢٤ فى ١٩٣٥/١١/١٨م ص ١٨٤٩.
(٢) الرسالة ، العدد نفسه والصفحة نفسها .

" وترى هذه المعانى الجميلة بطبيعتها مستفيضة شائعة فى شعر الجاهليين و المخضرمين والإسلاميين إلى أواسط العصر الأموى".

ويأخذ يستجلي جمال هذه البساطة بما ضربه من أمثلة من شعر المجنون ، وشعر يزيد بن الطثرية ، وشعر عبد الله بن الدمينة ، وشعر عبد الله بن نمير ، وشعر الصمة بن عبد الله القشيرى [١] .

فهو يريد أن يقول إن هذه الأمثلة لم تستمد جمالها من الصور البيانية ، ولكنها استمدت هذا الجمال وذلك التأثير من صدق الإحساس ، ومن تلك العاطفة القوية ، ومن البساطة الطبيعية فى أصدق الخواطر الشاكية.

وأيا ماكان الأمر فالزين يرى وجوب الملاءمة بين الألفاظ والمعانى. وفى اعتقادى أنه يمهد بكلامه الأخير للحديث عن أساس مهم من أسس الأدب ، وعنصر من عناصره ، بل عن أظهر ميزة فيه، وهى " العاطفة " مما يؤكد علمه بأن عناصر الشعر تكون وحدة متكاملة ، وأنها تتلاحم في صنع العمل الأدبى ، وأن المعنى شديد الارتباط بالعاطفة ، بحيث لانتصور وجود معنى يتضمنه الشعر مالم يكن صادرا عن العاطفة ، وبهذا يكون قد استوفى أو كاد الخلق الفنى، وإن كان قد توافق فى آرائه مع كثير من نقاد الأدب.

---

(١) انظر الرسالة ، العدد نفسه ص ١٨٥٠.

(جـ) العاطفة :

لقد تنبه الناس منذ أقدم العصور إلى أن الفن والأدب وجدان إنسان.، وقد آمن الزين بهذا المذهب ، فالتفت فى إشارات مقتضبة إلى العاطفة وهو يتحدث عن المعانى الشعرية [١] ، وأخذ ينبه إلى مقياس مهم من مقاييسها [٢] وهو " القوة والروعة " وكأنه يطلب من الشاعر أن يمتاح قلبه ، وأن يسترسل للطبع ، لأن العاطفة حين تكون جياشة قوية فإنها تمنح الأدب صفة الخلود [٣] ، وتولد الجمال الطبيعى فى المعانى البسيطة .

وحين رجعنا إلى ماكتبه الزين عن العاطفة وجدناه ليس شرحا لرأى نقدى ، ولا لنظرية تأثرية، وليس تمثيلا لها ولا تطبيقا عمليا عليها. والحق أن العاطفة كانت فى حاجة إلى وقفة نقدية طويلة منه، ليوضح أثرها فى ابتكار الخواطر المؤثرة ، وهذا مايمت بصلة وثيقة إلى الاتجاهات الحديثة فى النقد ، وهو اتجاه يقوم علي العناصر الأصيلة فى النص ونواحى تأثيرها النفسى.

---

(١) انظر مجلة الرسالة ، عدد ١٢١ فى ٢٨/ ١٠/ ١٩٣٥م ص ١٧٣٢، وعدد ١٢٤ فى ١٨/١١/١٩٣٥م ص ١٨٤٩-١٨٥١. وانظر كذلك مجلة الثقافة ، عدد ٣٢٤ فى ٣ ربيع أول ١٣٦٤ هـ ١٣/٣/١٩٤٥م ص ٢٢.

(٢) انظر أصول النقد الأدبى ، لأحمد الشايب ص ١٩٠ ومابعدها ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثامنة ١٩٧٣م.

(٣) انظر النقد الأدبى ، لأحمد أمين : ٢٢/١ومابعدها ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٧٢م.

وقد اعتذر الدكتور محمد رجب البيومى للزين فقال (١) :

" والناقد معذور فى هذا الاقتضاب ، لأن كتب النقد الأدبى عند كتابة هذه الفصول لم تكن قد اتسعت فى اللغة العربية للحديث عن عناصر الأسلوب الأدبى على نحو ما نعهد الآن فى الدراسات النقدية ".

وأيا ما كان الأمر فإن الحديث عن هذا العنصر من عناصر الأسلوب الأدبى وإن لم يصل على يد الناقد أحمد الزين إلى الدرجة التى وصل إليها الآن فى الدراسات الحديثة ، فيكفيه أنه أشار إليه وتحدث عنه كعنصر مهم فى التأثير الشعرى ، وهذه خطوة موفقة منه فى الطريق الصحيح للنقد ، وقد جرت العادة أن تنسب الأشياء إلى من نبه لها وأشار إليها ، كما تنسب إلى من شرحها ، ووضع لها النظريات والأصول .

(٤) جهاد الناقد :

أحمد الزين ناقد أدبى لديه آراء نقدية على جانب كبير من الأهمية ، وهو يعلم أن الناقد قبل كل شئ أديب ، اكتملت له أداة الأدب ، وجمع إلى معرفته به ألوانا من الثقافات الإنسانية تعينه على تحقيق الغاية من عمله ، وقد أدرك فضيلة مهمة من الفضائل التى ينبغى أن يتحلى بها الناقد الأدبى الذى يحكم على الأعمال الأدبية ويفاضل بين الأدباء .

---

(١) دراسات أدبية : ٢٠٤/١.

فمن الإنصاف والعدل فى نظر الزين أن يكون لدى الناقد -
للعدالة وإيثار للإنصاف، وأن يقف موقف الحياد من وجهات ال
المختلفة فى قضايا الأدب والنقد ، وأن يفصل فى الخصوم
الأدبية دون تحيز أو محاباة ، لأنه قاض يحتكم إليه فى ضنا
الأدب ، فينبغى أن يضع العمل الأدبى موضعه الجدير به ،
ينزل صاحبه فى المنزلة التى يستحقها بين الأدباء.

والذى نرى تسجيله هنا أن الزين لم يجعل للمجاملة ،
الصلات الشخصية دخلا أى دخل فى الأحكام الأدبية ، أو أ
قريبا أو بعيدا على قوانين النقد وموازينه التى أخذ نفسه بـ
وعرض على أحكامها غيره من الشعراء والأصدقاء.

إنه يعيب فصولا نقدية وردت فى الصحف والمجلات
فيقول[1]:

" كان أكثرها بل كلها من إملاء الغرض ووحى الهوى، ول
للفن فيها من الحظ إلا بمقدار مايبرر الناقد به تفضيل صاحبه
غيره ، واتهام الآخر بالعى والقصور فى نثره أو شعره ، يغفـ
الأذواق والعقول ، ويحكمون النزعات والميول ، ويتبعون القا
على مايعرفون من تقبلها ، ويستملون العواطف الخادعة
تحولها وعدم استقرارها ، فتخرج بحوثهم مختلفة السياق ، مضط

---

(١) مجلة الرسالة ، عدد ١١٤ فى ١٩٣٥/٩/٩م ص ١٤٧٣.

الآراء ، لا تحمل قارئا على احترامها ، ولا باحثا علي الاعتماد عليها . فهي بقصائد المدح والهجاء أشبه منها ببحوث الأدباء والعلماء ، حتى إن الشعراء والكتاب أنفسهم لم يعودوا يأبهون لما ينشره هؤلاء النقاد عن ثمرات قرائحهم ، إذ كان نقدهم إما مدحا تمليه مودة أو منفعة ، وإما هجاء تبعثهم عليه عداوة أو حسد ".

ويقول (١) :

" ولقد قلت مرة لبعض الشعراء المجيدين : إن فلانا الناقد المعروف قد كتب فصلا طويلا في صحيفة كذا يثني فيه على بعض قصائدك ثناء لو قرأته لسررت به ، وهششت له ، وطفقت أطيل في ذكر ماكتب ، فقال صاحبي : بعض هذا يا أخي ، فما مدح هؤلاء مما أرجو، ولا نقدهم مما أخشى ، فما أيسر الوسائل التي ينال بها مدح هؤلاء ورضاهم ، وإن ثناءهم لأشبه شئ بالشهادة للميت حين يحمل إلى قبره ، ويقال: (ماتشهدون في هذا الرجل ؟) فيقول المشيعون : (صالح وابن صالح) ولعله كان على خلاف ماشهدوا به في حياته ، وقد أراح الله البلاد والعباد بمماته " .

---

(١) مجلة الرسالة ، العدد نفسه ص ١٤٧٣ ، ١٤٧٤ .

وخير دليل على ذلك خلاصة رأيه فى صفة شعر الشاعر إسماعيل صبرى ، والتى أوجزها فى القصيدة التى رثاه بها، يقول(١) :

فلو ان شعرك كان سجعا للقطـا
كاد الأراك مع القطا أن يسجعـا
طب النفوس يعيد فى ميت المنى
روحا ويبعث فى القنوط المطمعا
متلمس من كل نفس سرهــا
وملامس من كل قلب موضعـا
شعر إذا يتلى تكاد لحسنه
تثب القلوب من الصدور تطلعا
فكأنها فى كل بيت تبتغـى
نبأ عن الأحباب فيه أودعـا

والحقيقة أن الزين مسبوق فى الدعوة إلى الحياد ببعض النقاد، كالجاحظ ، وابن قتيبة ، والمبرد ، وابن طباطبا ، وقدامة ، والآمدى ، وقد توارد تفكيره فى هذا الشأن مع تفكير أعلام النقد فى أوربا .

---

(١) الديوان ص ١١٤.

ونحن نرى أن الزين لم يتحمس للعباد تحمس القاضى الجرجانى له ، ولم يضعه موضع التطبيق كما وضعه الجرجانى فى كتابه " الوساطة بين المتنبى وخصومه " ، ولم يصدر فيه عن فهم واقتناع كما فعل الجرجانى ، الذى عاب التعصب الممقوت فقال(١):

" إن العصبية ربما كدرت صفو الطبع ، وقلت حد الذهن ، ولبست العلم بالشك ، وحسنت للمنصف الميل ، ومتى استحكمت ورسخت صورت لك الشئ بغير صورته ، وحالت بينك وبين تأمله ، وتخطت بك الإحسان الظاهر إلى العيب الغامض . وما ملكت العصبية قلبا فتركت فيه للتثبت موضعا أو أبقت منه للإنصاف نصيبا ".

ثانيا : رأيه فى أدباء العصر :

بعد أن طرفنا بآراء الزين النقدية ، وعرفنا ما احتفل به فى ميدان النقد من خواطر كانت ذات أثر بعيد ، بعد أن عرفنا كل ذلك نرى إتماما للبحث أن نعرض آراءه فى أدباء عصره وأن نقف من خلال ذلك على القيم الفنية التى يريد أن يستخلصها ، وما إذا كان قد أثر فى بعض هؤلاء ، أو أنه قد فقد ذلك التأثير.

---

(١) الوساطة بين المتنبى وخصومه تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلى محمد البجاوى ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ص ٤١٤.

(١) الشعراء :

والحقيقة أن الناقد أحمد الزين قد تحدث عن بعض شعراء العربية القدماء والمحدثين، وقد أشار في حديثه إلى ألفاظهما ومعانيهما [١]، ووضح من خلال ذلك أن للشعر ألفاظا ومعاني مختصين به لايشاركه فيهما غيره من الكتابة والخطابة ، كما وضح الفرق بين المعاني الشعرية وغيرها من المعاني البسيطة ، ومثل لهذا كله من شعر القدماء والمحدثين .

والواقع أننا لو رحنا نحصي آراء الزين ونعدها لما انتهينا ، وسنحاول جاهدين أن نتعرف على بعض أحكامه التي ساقها عن هؤلاء الشعراء والتي نراها موضعا للمناقشة ، ونقف عندها وقفة لعلنا نستطيع من خلالها أن نكشف عن مزاجه الفني فيما يصدر من أحكام .

(أ) شعراء الديباجة :

البارودي :

وممن تناولهم الزين بالنقد الشاعر محمود سامي البارودي، وإن كان لم يدرس شخصيته دراسة تحليلية تعتمد على مقدمات ونتائج ولم يستوعب شعره ، ولم يدرسه كظاهرة فنية مكتملة .

---

(١) انظر مجلة الرسالة ، عدد ١٢٤ في ١٨/١١/١٩٣٥م ص ١٨٤٩ . ١٨٥ ، ١٨٥١ . وعدد ١٢٩ في ٢٣/١٢/١٩٣٥م ص ٢٠٦٩ . ٢٠٧ . ودراسات أدبية للدكتور محمد رجب البيومي ، ٢٠٧/١ . ٢١١ .

ومع ذلك ففى دراسة له عنوانها " أدب البارودى وشعره "(١) نراه يعده باعث النهضة الأدبية ، كما يعده من شعراء الألفاظ الذين يعنون بالألفاظ دون أن يهتموا بملاءمة المعانى للبيئة التى يعيشون فيها ، ودون أن يهتموا بمسايرتها لثقافة العصر الذى قيل فيه الشعر (٢) .

وأهم ما جاء فى نقده مما نراه موضعا للنقاش قوله (٣).

" إلا أن تلك النهضة التى بعثها من مرقدها لم تكن نهضة تجديدية فى الأفكار والمعانى ، وتلك الوثبة التى وثبها لم تكن وثبة انقلابية فى تصوير ماحوله من المشاعر والإحساسات ، وهذه الخطوة التى خطاها لم تكن خطوة تطورية فى مسايرة روح العصر وتوجيهه إلى مايريده الشاعر لأمته وبلاده من المثل الأعلى فى الآمال والأغراض ، بل كانت نهضة بيانية لا أكثر، متعلقة بجودة العبارات ، واختيار الألفاظ، وإحكام النسج ، ومتانة التركيب ، والجرى على مذهب القدماء فى الفخامة والجزالة، فلا تكاد ترى فى شعره مايعبر عما حوله من أحاسيس أمته وأوطانه ، إلا القليل مما تراه منتشرا فى ديوانه ".

(١) صدرت هذه الدراسة بمناسبة انقضاء مائة سنة على مولد البارودى (انظر الرسالة عدد ١٢٩ فى ١٩٣٥/١٢/٢٣م ص ٢٠٦٩ . وعدد ١٣٠فى ٣٠ /١٢/١٩٣٥م ص ٢١٠١.

(٢) انظر الرسالة عدد ١٢٩ ص ٢٠٦٩.

(٣) الرسالة عدد ١٣٠ فى ٣٠ /١٢/١٩٣٥م ص ٢١٠١.

ويعد شعره من شعر التقليد القوى، ويعلل لذلك بشغفه بمحاكاة الفحول من شعراء المتقدمين ومعارضتهم فى مشهورات قصائدهم فيقول (١):

" وإنك لتقرأ القصيدة من شعره فلا توقظ عاطفة من عواطفك، ولاتحرك شجنا من أشجان نفسك، ويخيل لك أنك سمعتها قبل ذلك عدة مرات ، والحق أنك قد سمعتها ، فإن لم تكن قد سمعتها بألفاظها ، فقد سمعتها بمعانيها فى شعر العباسيين وغيرهم من المتقدمين، حتى ان قصائده التى قالها فى صفة الحروب وأهوالها، والميادين وأبطالها، وافتخاره بالاقدام إذا حمى الوطيس واشتد الخوف وجاش نفس الجبان لاتراها تتميز إلا فى القليل النادر بمعان جديدة وأفكار مستحدثة ".

ويذكر أن " مما يعاب على البارودى ويؤاخذ به قلة شيوع الشعور الوطنى والإحساس المصرى فى شعره ، وخلو قصائده إلا فى القليل النادر من العاطفة القومية ، وإنما استثنيت القليل النادر لما له فى ذلك من القصائد اليسيرة التى قالها وهو فى منفاه بسرنديب ...ولعل السر فى عدم شيوع ذلك الشعور فى شعره وقلة ظهور هذه العاطفة فى قصائده يرجع إلى أنه سليل عائلة من الأتراك الذين يرون أن سيادتهم فى مصر لاتتم إلا بالترفع عن مخالطـــة

---

(١) المجلة نفسها والعدد نفسه ص ٢١٠١ ، ٢١٠٢ .

أهلها، وعدم مشاركتهم فيما يشعرون به من آلام وآمال ، ويرون أن الاتصال بطبقات الشعب ثلم فى عزتهم ، وانتقاص من سيادتهم»(١).

فالزين يعيب عن البارودى أنه لم يجدد فى الأفكار والمعانى، ولم يساير روح العصر ويرى أن قصائده تقليدية لاتتميز بمعان جديدة وأفكار مستحدثة إلا فى القليل النادر ، فهى تردد بألفاظها ومعانيها شعر العباسيين وغيرهم من المتقدمين.

كما أخذ عليه قلة شيوع الشعور الوطنى والإحساس المصرى فى شعره ، وخلو قصائده إلا فى القليل النادر من العاطفة القومية، وعلل لذلك بأنه تركى يترفع عن مخالطة أهل مصر ومشاركتهم الآلام والآمال ، ويرى أن الاتصال بطبقات الشعب ثلم لعزته ، وانتقاص لسيادته ، وقد شفع الزين آراءه هذه بذكر أمثلة من شعر البارودى (٢).

هذه هى الخطوط البارزة فى نقد الزين للبارودى، ونحن نحس فيها بوطأة التحامل فى النقد، وبالظلم الواضح لرائد النهضة الشعرية الحديثة . ولقد فتشت كثيرا فيما ترك الزين من نقد لعلى

---

(١) المجلة نفسها والعدد نفسه ص ٢١٠٢.

(٢) انظر الرسالة ، العدد السابق ص ٢١٠٢، ٢١٠٣.

أطالع فيه جديدا يتصل بالبارودى ، أو أعثر على آراء له تضاف إلى ما كتبه عنه أو تغير منه ، ولكنى لم أصل ...

وليس بصحيح ما قاله الزين ، فرأيه يغفل الإشارة إلى قدرة البارودى على ابتكار الأفكار والمعانى ، كما يغفل طريقته التى تفصح عن خواطره الذاتية .

أما اتهامه للبارودى بأن شعره يقل فيه الشعور الوطنى والإحساس المصرى، وأن هذا الشعر يخلو من العواطف القومية ، فهذا مالا وجه لقبوله ، فالحقيقة أن البارودى وإن كان قد قلد الأقدمين فإن شخصيته قد استقلت عنهم فى كثير من المواطن . وفى اعتقادى أن من أكبر ميزاته أن شخصيته قد اتضحت ممثلة عصرها وحياة صاحبها، ولقد استقامت له هذه الطريقة، ومعنى هذا أن الشاعر صادق الشعور فى قصائده ، وفضلا عن ذلك فله تجديد ملموس فى التعبير عن شعوره ومشاهداته ، ومعان جديدة وصور لم يسبق إليها .

وهو وإن كان قد نسج على غرار الأقدمين ، وعارض الفحول الأولين ، واتسعت وجوه المشابهة بينه وبينهم ، فإن ذاتيته بدت قوية واضحة فى شعره ، وبدا شعره مرآة بيئته وزمانه ، وهذا ماجعل الدكتور محمد حسين هيكل يقول فى مقدمة الديوان عن شعره [1] :

---

(١) ديوان البارودى : ١/ ٣٠ . تحقيق على الجارم ومحمد شفيق معروف دار المعارف بمصر ١٣٩١ هـ ١٩٧١م.

" إن هذا الشعر كان فى عصره جديدا كله . كانت محاكاته الأقدمين جديدة ، وكانت معارضته إياهم جديدة ، وكانت رياضته القول على مثالهم جديدة ".

يضاف إلى ذلك أن من الأغراض التى خلع البارودى عليها لباس الجدة والابتكار ،وظهرت فيها شخصيته واضحة بارزة ، شعره السياسى والوطنى ، هذا الشعر الذى جعل من البارودى زعيما وطنيا ، كما جعله فى طليعة أبطال الثورة العرابية ، وتسبب فى نفيه بعيدا عن وطنه ، وكان شاعرنا يعتلج فى صدره حنينه إلى وطنه عندما كان منفيا .

والخلاصة أن البارودى وهب من سلامة الطبع واستقامة الفطرة ماجعله مشرق اللفظ ، قوى الأداء، تحس فى قصائده بشخصيته ، وحسبنا أن نرجع إلى ديوانه لنرى هذه الظاهرة واضحة تعبر عن نفسها، ولعل الزين لم يتهيأ له أن يقرأ ديوان البارودى كله ، وظنى أنه لو قرأه كله لغير رأيه ، ولما تردد فى أن يذكر عن البارودى ماذكره هيكل فى شعره وفى شخصيته .

أحمد شوقى :

وقد نظم الزين قصيدة سماها (شعراء العصر فى مصر) وأثبتها فى ديوانه المطبوع جامع الديوان [١] وقد جاءت أبياتها

---

(١) الديوان ص ٣٤- ٤٠.

التى تقترب من التسعين بيتا تمثل آراءه فى النقد الأدبى، كما تمثل نقده لشعراء عصره ، وعلى الرغم من أنها كلها من باب إطلاق الأحكام المجملة ، وتشخص وتكتفى بالإشارة عن الإسهاب .

وبما جاء فى القصيدة عن شوقى هذه الأبيات [١] :

ألا أبلغا شوقى على نأى داره
مقالا كنفح المسك رياه تنشـــر

بأن معانيه تطول وتعتلـــى
ويارب لفظ فى البلاغة يقصـــر

كروح بلاجسم وحسناء ألبست
مع الحسن ثوبا ليس بالحسن يجدر

وجل معانيه خيال كأنمـــا
يفيض عليه بالتخيل عبقـــر

وفيما أراه أنه خير شاعـــر
وإن خف ألفاظا فذلك يغفـــر

ونستخلص من أبيات الزين أن شوقيا - على الرغم مما فى ألفاظه من قصور- شاعر العبقرية، وهو مشرق الديباجة، يقع على المعنى الطريف والفكرة العميقة ، وقد رزق سعة فى الخيال وقوة فى أدواته .

---

(١) الديوان ص ٣٥ .

وواضح أن الزين قد اتفق إلى حد كبير مع كثير من الدارسين والنقاد على أن شوقيا كان ذا لطف في التخيل ، وأنه كان يولي اهتمامه ببراعة الخيال .

وفي اعتقادي أنه كان كذلك، فخياله الجواب هو الذي أمده بفيض زاخر من الصور التي لم يستطع خيال أحد ممن عاصروه أن يدنو منها ، ومن ثم كان الدكتور شوقي ضيف على حق حين قال إن شعر شوقي يقوم على ركنين أساسيين هما الموسيقى والخيال (١) .

ولو أشار الزين في أبياته القليلة هذه إلى أن شوقيا كان شاعر العاطفة الجياشة لكان الحق معه في كل ماقال، فعاطفته هي التي دفعته إلى اختيار صور القول، وهي التي وجهت خياله، وساعدته على أن يهيئ لنفسه الجو الخيالي الذي يناسب حالته النفسية (٢).

أما ما أشار إليه من قصور شوقي حين قال :

بأن معانيه تطول وتمتلىء ... ويارب لفظ في البلاغة يقصر

كروح بلا جسم وحسناء ألبست ... مع الحسن ثوبا ليس بالحسن يجدر

---

(١) شوقي شاعر العصر الحديث ص ٥٠ دار المعارف بمصر ، الطبعة السابعة ١٩٧٧م، (مكتبة الدراسات الأدبية).

(٢) انظر المعارضة في شعر شوقي ، للدكتور إبراهيم عوضين ص ٨، ٩ مطبعة السعادة الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

... فهذا النقد إن صدق فى الواقع على شعره قبل النفى، فإنه لايصدق على شعره بعده ،فقد ملك شعره بعد أن عاد من منفاه ناصيتى اللفظ والمعنى معا، حتى صار يوسم بسمة الإشراق والنصاعة .

ولعل عذر الزين فى ذلك أنه نظم هذه القصيدة وشوقى مايزال فى منفاه بالأندلس [١]، يتفرغ لأدبه وتنمية ثروته ، ويعكف على قراءة كتب الأدب العربى ، ويستوعب منها مالم يكن قد استوعب .

ويالبت الزين كان قد تنبه كذلك إلى أن " معانى شوقى - كألفاظه ، وكسائر خصوصياته الشعرية - صدرت فى طورين مختلفين من حياته - أحدهما : قبل منفاه إلى البلاد الأندلسية، والآخر بعد المنفى . وكان فى الطور الثانى أنضج عقلا ، وأوفر تجربة ، وأخصب خيالا ، وأكمل شاعرية ، فجاءت معانيه أكرم جوهرا، وأتم صقلا من معانى الطور الأول ، وأدنى إلى الغاية التى يرتضيها الأدباء " [٢].

وتحدث الزين عن شوقى وشاعريته كذلك فى مجلة الثقافة ، فى دراسة بعنوان (من أحسن مايروى) [٣].

---

(١) نظرات أدبية . الدكتور محمد رجب البيومى : ٣/ ١٠٠ .

(٢) المتنبى وشوقى ، للأستاذ عباس حسن ص ٢٥١ . طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ١٣٧٠هـ ١٩٥١م.

(٣) انظر المجلة عدد ٥٩ (١٣/٢/١٩٤٠م) وعدد ٦٣(١٢/٣/ ١٩٤٠م).

وقد أشاد في هذه الدراسة بعاطفة شوقي تجاه كل من مصر وتركيا ، وقدم تفسيرا منطقيا لنزعته الإسلامية ، وتحدث كذلك عن منزلته الفنية وعن المميزات التي يتميز بها عن غيره ، وأورد أمثلة من أروع شعره ، وجعل شوقيا في باب الرثاء يساجل المتنبي مساجلة الند للند، ويوائمه فيها موائمة القرن للقرن ، وشبهه في الباب نفسه بالشاعر مهيار الديلمي ، في أنه يخلف بمراثيه في نفس قارئها إحساسا حارا بوقع المصاب (١).

ثم يفرد في حديثه تصوره لما يعاب في شعر شوقي في بعض نواحيه ، فيتحدث عن شعره السياسي ، ويرى أن شوقيا ليس إلا لسان الجمهور ، وليس له رأي مبتكر .

يقول (٢) :

" ومن أهم ماتراه ظاهرا في شعر شوقي السياسي أنه ليس له رأي مبتكر من عنده في الحوادث السياسيةقد صوره في شعره ، ودافع عنه بقوة بيانه ، بل كان في جميع آرائه السياسية مسجلا للإحساسات والآراء التي يحسها ويراها جمهور الشرقيين عامة والمصريين خاصة ، مجاريا سخطهم ورضاهم ونفورهم ، وميلهم في جميع الحوادث المهمة ، وذلك لأنه كان شديد التكلف بحسن رأي

(١) انظر المجلة ؛ عدد ٥٩ الصادر في ١٣/٢/١٩٤٠م ص ٥٦-٥٨ . وعدد ٦٣ الصادر في ١٢/٣/١٩٤٠م ص ٣٤ .

(٢) مجلة الثقافة ، عدد ٥٩ في ١٣ /٢/ ١٩٤٠م ص ٥٦، ٥٧.

الناس فيه وإجماعهم على تفضيله ، فهو يشايعهم فى شعورهم اكتسابا لرضاهم ، فكان شوقى لسان الجمهور الناطق ولم يكن عقله المفكر المبتكر".

كذلك تحدث الزين عن شوقى فى مجلة الرسالة فى الفصل النقدى الذى خصه للحديث عن المعنى [١]، وقد أشاد به وبما لديه من قصائد بلغت من جمال الفن ، ووفرة المعانى الشعرية الفائتة غاية لم تبلغها قصيدة أخرى من شعر المعاصرين .

وحين أخذ على البارودى قلة شيوع الشعور الوطنى والإحساس المصري فى شعره ، وخلو قصائده إلا فى القليل النادر من العاطفة القومية [٢] ، نراه يورد نماذج شعرية فى الحنين إلى الوطن لشوقي ، ويشير إليها على أنها فياضة بالإحساس الوطنى المتدفق والعاطفة المصرية الفياضة [٣].

هذه خلاصة موجزة لرأى الزين فى شعر شوقى. وإذا كان لناشئ نعقب به على رأيه فإنا نكاد نسلم معه بما جاء به إلا أمرا واحدا نريد أن نقف قليلا عنده ، وربما ذهبنا فيه إلى غير ماذهـب

---

(١) انظر مجلة الرسالة ، عدد ١٢١ (٢٨/ ١٠/١٩٣٥م ص ١٧٣٣.

(٢) انظر رأى الزين فى البارودى الذى ذكرناه قبل .

(٣) انظر مجلة الرسالة ، عدد ١٣٠ (٣٠ /١٢/١٩٣٥م) ص ٢١٠٣.

الزين . ذلك هو وصفه لشوقى فى شعره السياسى بأنه لسان الجمهور ، وليس له رأى مبتكر .

وعندى أن المتأمل لواقع شوقى النفسى حين يصوغ قصائده الشعرية التى تصور إحساس الجمهور ، لايراه ترجمانا له ، يطرب لما يطرب له ويكره مايكرهه ، لأنه لو كان كذلك لما استولى علي جمهور قرائه ومتلقى شعره بالصورة التى نعرضها عنه ، ولما بلغ من نفوسهم درجة لم يبلغها غيره من الشعراء المعاصرين له .

غير أن الحق الذى لايخفى على الزين أن شوقيا قد نصب نفسه رائدا للجمهور ،ولم يعف نفسه من هذه القيادة إذا تيسرت له، وأخذ يوجهه فى مواطن كثيرة إلى أمور تعينه على مواجهة أحداث العصر وتقلباته (١).

وفى ظنى أن الزين لو كان قد قدر له أن يكتب عن أحمد شوقى بعد أن يقرأ شعره فى الطور الثانى من حياته (شعره بعد المنفى) لكان له رأى غير هذا الرأى .

---

(١) انظر شعر شوقى فى المناسبات فى ميزان النقد ، للمؤلف ص ٦٧. التركى للكمبيوتر وطباعة الأوفست ، طنطا الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

أحمد الكاشف :

ومما جاء فى قصيدة الزين عن الكاشف [١]:

وللكاشف المعنى الذى خطراته ... صعاب على من رامها تتعذر
يميزه عمن سواه اعتمــــاده ... على نفسه كالبحر بالماء يزخر
يفيض على قرطاسه وحى فكره ... سوى أنه يكبو قليلا ويعثر
فتلك معانيه وأما بيانــــه ... فلا عيب فيه غير يبس ينفر

وخلاصة رأى الزين :

(١) أن شعر الكاشف يمتاز بالمعانى التى تصعب وتتعذ على من يرومها .

(٢) أن استقامة الفطرة عند الكاشف جعلته ينطلق مع طبه فى سهولة ويسر وجعلت شعره فيض الطبع .

(٣) أن فى ألفاظ الكاشف يبسا منفرا .

والحقيقة أن الكاشف شاعر ينتمى إلى مدرسة البعث الت أعادت للشعر قوته ورونقه وبهاءه ، وخلصته من القيود اللفظ التى كان يتردى فيها ، وما قرأناه من شعره يشير إلى أن م ميزاته نقاء العبارة ، وصفاء الأسلوب ، وانطلاق التعبير .

ورأى الزين يشير إلى تقدير الكاشف ، كما يشير إلى أ يجمع فى شعره بين النقيضين الجودة والرداءة ، وقد ظن الزين معانى الكاشف صعبة على من يرومها ، ولى ظنى أنه قد جانبـــ

---

(١) الديوان ص ٣٥.

الصواب فى ذلك، فليس للكاشف ما ينسب إليه فى المعانى والصور غالبا ، وليس له ماينفرد به عمن سواه ، وإنما هو يستقى معانيه من ذلك المنهل العام الذى توارد عليه الشعراء المحافظون فى عصره ، وكان الكاشف يجرى معهم على سنن واحد غالبا.

أحمد محرم :

وللزين رأى فى محرم أودعه بيتين من الشعر في القصيدة المذكورة وهما [١]:

زها ببيان القول شعر محرم — له من عقود اللفظ در وجوهر
ومعناه لا عال ولا هو ساقط — وبكر معانيه قليل مبعثـــــر

ونستطيع أن نخرج من بيتى الزين بالأحكام الآتية :

(١) أن شعر محرم يمتاز بإشراق الديباجة وفصاحة اللفظ .
(٢) أن محرما ربما كان من أكثر معاصريه احتفالا بحسن الصياغة ، وأن له مهارة فنية فائقة .
(٣) أنه قليل الحظ من المعانى المبتكرة والأفكار الجديدة بالنسبة لمعاصريه.

ونحن نرى من هذا الرأى أن محرما صافى الأسلوب ، ينطلق مع طبعه فى سهولة ويسر ، لانلمح فيه أثرا للصنعة أو التكلف .

---

(١) الديوان ص ٣٥.

غير أن الحق الذى لايخفى على الزين أن حرارة العاطفة عند محرم قد جعلته يجمع بين أسلوب المحافظين في بيانه ونصاعته وروح التجديد فى إقباله على المعانى الوجدانية والصور الممثلة لروح العصر [1] ، فمحرم شاعر تمثل السمات الفنية لشعراء العرب السابقين ، وأضفى عليها من طبعه وروحه .

ولانستطيع أن نترك التعقيب على رأى الزين فى محرم دون أن نشير إلى ما اتسم به شعر محرم من حرارة العاطفة [2] ، وهذا يعنى أنه لو هيئ لمحرم من قوة الخيال ماهيئ لشوقي إلي جانب ما أوتيه من عاطفة جياشة حارة لكان له شأن غير هذا الشأن .

إسماعيل صبرى :

وأبيات الزين فى صبرى تقول [3]:

وصبرى أمير الشعر فى صفرياته
له نفثات تستهيك وتسحـــــر

له قطع تلهى الفتى عن شبابـــه
وتخجل زهر الروض والروض مزهر

---

(١) انظر شاعر العروبة والإسلام أحمد محرم ، محمد إبراهيم الجيوشى ص ١٢١ ومابعدها . مطبعة السعادة ، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ ١٩٦١م، نشر مكتبة دار العروبة ، القاهرة .

(٢) انظر المصدر نفسه ص ٢٥٥ ومابعدها .

(٣) الديوان ص ٣٦ .

أعاد لنا عهد الوليد بشعـــــره

فمعناه بين الشرق والغرب يؤثـــر

فهو يرى أن صبرى أمير الشعر ، ويرى أنه بلغ هذه المكانة الفنية فى مستهل حياته ، لما يراه فى مقطوعاته من عاطفة قوية صادقة ، وجمال فاتن ، ورقة وسحر ، هذا فضلا عن مشابهته للبحترى فى عذوبة الألفاظ وطلاوتها ، وجمال عباراته ، وحسن التنسيق ، وصفاء الديباجة، وسفور المعانى وتخيرها وعدم التكلف فيها .

والحقيقة أن الشاعر الناقد أحمد الزين يعد في مقدمة الدارسين لحياة الشاعر إسماعيل صبري، وأخلاقه ، ووطنيته ، كما يعد فى طليعة الباحثين فى شعره ، الدارسين له دراسة واسعة مستوعبة .

فقد تناول شعره بدراسة تفصيلية فى مقدمة ديوانه ، قال عنها[١]:

" ضمنتها ما عرفته بطول عشرتى للمرحوم إسماعيل صبرى باشا من أخلاقه، ووطنيته ، وبحثا في شاعريته ، توضيحا لما اتبعته فى تصحيح ديوانه ، وبيانا مفصلا لأطوار حياته ".

---

(١) مقدمات ديوان إسماعيل صبرى ص ٣ .

وفى المقدمة التى كتبها الزين لديوان صبرى لمجده يرى أن شعر صبرى فى المرحلة الأولى من حياته الشعرية يمتاز بملاءمته للعصر الذى قيل فيه، سواء أكان ذلك فى فنه ، أم فى روحه واتجاهه [(١)].

وصبرى عنده هو شاعر العاطفة والوجدان فى عصره ، وقد " نفخ فى الشعر روح الحياة بعد همود، ، فكان حقيقا أن يسمى باعث الشعر الحديث من خموده " [(٢)].

كما يرى أن شعر صبرى فى المرحلة الثانية من حياته الشعرية يمتاز بأمرين [(٣)] :

أولهما - وهو أهمهما - عاطفته القوية الصادقة التى كانت شائعة فى جميع نواحى شعره ، وقد تجلت هذه العاطفة فى غزله الرقيق الفاتن ، وفي وطنياته الصادقة الحارة ، وإخوانياته المخلصة الوفية ، ومراثيه الحزينة الباكية، وتوسلاته الإلهية ، وشكوى الحياة.

ثانيهما: عدم التكلف فى معنى ولا لفظ ، والاقتصار فى جميع شعره على تصوير شعوره وذات نفسه تصويرا دقيقا متقنا يتخير فيه اللفظ السهل الرقيق ، والعبارة الواضحة المشرقة.

---

(١) انظر مقدمة ديوان صبرى ، لأحمد الزين ص ٣٥ - ٤١.

(٢) مقدمة ديوان صبرى ، للزين ص ٣٨.

(٣) باختصار من مقدمة الديوان ص ٣٩، ٤٠ .

والحق أن الناقد المنصف ، الدارس لشعر صبرى ، الناظر فى ديوانه ، لابد وأن يجد من الشواهد التى تؤيد ماذكر الناقد أحمد الزين الشئ الكثير ، ومن ثم لايسعه إلا أن يسلم معه بالخصائص التى جاء بها ، والمكانة الأدبية التى يراه فيها .

حافظ إبراهيم :

وفى القصيدة نفسها يقول الزين عن حافظ إبراهيم [١] :

وحافظ فى مصر بقية أمـــة
بها كان روض الشعر يذكو وينضر

متين القوافى يدرك الفهم لفظها
ولو لم تكن فى آخر البيت تذكر

ويحكم نسج القول حتى كأنمـــا
تصانده فى ذلك النسج تنظـــر

يصور معناه فتحسب أنـــه
لتلك المعانى شاعر ومصـــــور

سوى أنه يحشو ويستر حشوه
بلفظ كصفو الخمر رياه تسكـــر

والزين يريد أن يقول إن حافظا يبهرنا منه الألفاظ الموفقة المختارة ، والأسلوب المشرق. فحافظ كما نعرفه كان يؤمن قبل كل شئ بالصنعة والديباجة ونسج الكـــــلام ، وكان كثير العنايـــــة

---

(١) الديوان ص ٣٦ .

بشعره ، وكان يفتش عن اللفظ المناسب للموضوع ، ويعنى أيما عناية بتوفير عناصر الجمال اللفظي لشعره ، وقد يضطره ذلك إلى أن يعيد النظر فيه (١) .

ولعل مبعث عناية حافظ بلفظه أنه كان يخاطب الجماهير، ويحتفى برضائها كل الاحتفاء ، وكان يحرص على أن تقابل قصائده باستحسانها (٢) ، وهذا يدفعه إلى أن ينتقى اللفظ القوى الجذاب، كما يدفعه إلى الحرص على القصائد التى تمتاز بالطلاوة، ونصاعة الديباجة ، وجزالة العبارة .

أما قول الزين عن حافظ :

يصور معناه فتحسب أنه لتلك المعانى شاعر ومصور

فلا أظن أنه كان كذلك ، لأن احتفاله بالمعنى لايساوى شيئا بجانب احتفاله باللفظ ، وكان يعتمد فى تعبيره على متانة الأسلوب ، وجودة العبارة أكثر من اعتماده على الابتداع أو الخيال، هذا فضلا عن أنه لم يكن ذا خيال خصب قادر على الخلق

---

(١) انظر مجلة أبولو يوليو عام ١٩٣٣م ص ١٣٣٦.

(٢) انظر حافظ ابراهيم شاعر النيل ، للدكتور عبد الحميد سند الجندى ص ٩٧ ومابعدها . دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ١٩٨١م. (مكتبة الدراسات الأدبية) .

والابتكار ، فهو شاعر ذو طبيعة واضحة لاغموض فيها ولا التواء، وقد جعلته هذه الطبيعة البسيطة شاعرا قليل الحظ من الخصب الذهني والعمق العقلي ، وقد نجم عن ذلك أن جاء شعره قريب الغور، يخلو من المعنى العميق ، والفكرة السامقة ، ولايجد المرء فيه عناء ولامشقة (١).

مصطفى صادق الرافعي :

ويقول عن الرافعي (٢) :

تضيع معاني الرافعي بلفظه	فلا نبصر المعنى وهيهات نبصر
معانيه كالحسناء تأبى تبذلا	لذاك تراها بالحجاب تخـــدر

إنه يشير إلى أن شعر الرافعي يمتاز بعمق المعاني وغموضها ، وهذا رأى لاشك فيه ، فللرافعي أسلوب يدل عليه ، ويتميز هذا الأسلوب بالعمق والغموض ، وقد تأتي له هذا الأسلوب من بيئته التي نشأ فيها ، ومن إيمانه البالغ برسالته ، وصدوره عن نفس مؤمنة عميقة الإيمان والاقتناع .

ومن هذا القبيل إشادته في مجلة الرسالة (٣) بوفرة المعاني الشعرية الساحرة ، وقوة الجمال الفني الرائع في شعره .

---

(١) انظر المصدر نفسه ص ١١٢ ومابعدها.

(٢) الديوان ص ٣٩ .

(٣) عدد ١٢١ (٢٨/١٠/١٩٣٥م) ص ١٧٣٤.

ويشير إلى أن معانيه من صنعة الفكر وابتكار الذهن فيقول[١]:

" وإنما أنسب الغموض المتوهم فى بعض أبياته إلى قصور ذهن المتوسطين من القراء ، وإلى ضيق الألفاظ المحدودة عن أن تحصر هذا الجمال المعنوى الذى لايحد ، إلا أننى أرى معانيه من صنعة الفكر وابتكار الذهن ".

......

....ومن هذا القبيل فى إطلاق الرأى على شعراء الديباجة آراء أخرى للزين مرسلة فى بيت أو بيتين ، أو ثلاثة ، أو أربعة فى القصيدة نفسها، ولايتسع المقام لذكر كل هذه الآراء ، فلو رحنا نحصيها ونعدها ما انتهينا ، ومن ثم نكتفى بما ذكرناه قبل .

وبصرف النظر عن تسليمنا أو عدم التسليم بكل ماورد فى هذه الأبيات من أحكام ، فإننا نريد أن ننبه إلى أن هذه الآراء فى مجموعها قد أبانت عن أن الزين من أنصار مدرسة الديباجة ، وأنه يتعاطف مع شعرائها كل التعاطف .

أمر آخر نريد أن نشير إليه وهو أن الزين قد راعى فى نقده وجوه الاختلاف والاتفاق ، فقد شبه الشاعر أحمد نسيم فى الهجاء بالأخطل[٢]، وحين ذكر ميل الشاعر محمد عبد المطلب إلى التحضر

(١) مجلة الرسالة العدد نفسه ص ١٧٣٤.

(٢) انظر الديوان ص ٣٦ .

فى بعض أشعاره (١) نراه يلاحظ أن هذا هو ما يفتقده الشاعر عبد المحسن الكاظمى (٢).

(ب) شعراء التجديد:

لقد أعلن الزين رأيه فى شعراء الديباجة أمثال : البارودى وشوقى وحافظ وصبرى وأضرابهم ، وقد رأينا أن لهؤلاء الشعراء مكانة عنده ، ولأشعارهم فى نفسه حظ غير قليل. أما موقفه من شعراء التجديد فإنه يتسم بالحيطة والحذر تارة ، وبالقسوة والشدة تارة أخرى . ونود أن نوضح ذلك من خلال موقفه تجاه كل من خليل مطران، وشعراء جماعة الديوان ، والشاعر محمود عماد.

خليل مطران :

إنه يقول عنه (٣) :

ألا أبلغا مطران أن بيانه	خفى ومعناه عن اللفظ أكبر
ويوجز فى الألفاظ حتى تظنه	على غير عى بالمقالة يحصر

فهو يصف بيان مطران بالخفاء والغموض ، ويجعله فى إيجازه للألفاظ يشبه الحصر.

(١) الديوان ص ٣٧ .
(٢) الديوان ٣٨.
(٣) الديوان ص ٣٧ .

ولا نستطيع أن نترك بيتى الزين دون أن نشير إلى ما اتسما به من مغالاة ، فمعنى هذا أن الزين يرى أن كل ميزات خليل تتلخص فى احتفاله بالمعنى ، وأنه لم يهتم بفخامة الألفاظ ورنين الكلمات، والموسيقى الصاخبة، وما إلى ذلك .

وهو فى هذا يسير على الدرب الذي سار فيه النقاد الذين تحاملوا على مطران ، ورأوا أن للفكرة فى شعره المقام الأول ، واتهموه - نتيجة لذلك - بالعجمة والخروج على الذوق [١]. "

وغاية مافى الأمر أن مطران فاق النظراء ، بل فاق كثيرا من القدماء ، فى ألفاظهما وتراكيبهما ، وأقرب وصف له أن يقال إن له فى جمال الشعر مذهبا خاصا به ، وهو مذهب قيم يظنه بعض الناس خفاء وحصرا ، على أن اهتمامه الكبير بالمعانى والأفكار كان يدفعه إلى الدقة فى انتقاء الألفاظ التى تكون كفيلة بإبراز معانيه والتعبير عن فكرته ، وتصوير أخيلته .

ولهذا " كان دائم التنقيح والتهذيب لشعره ، كثير الرجوع إليه كلما دعت الأسباب لأن يغير منه ، فقد يحذف كلمة أو كلمات يستبدل بها غيرها ، بل قد يحذف بيتا أو أبياتا لينظم أخرى

---

(١) انظر التجديد فى شعر خليل مطران ، للدكتور سعيد حسين منصور ص ٣٧١ ومابعدها ، مطابع عابدين ، الاسكندرية ، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م ، نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر .

أويستغنى عنها . وقد يزيد أبياتا جديدة يراها بعد المراجعة لازمة لتوضيح المعنى وإبراز الفكرة "[١].

شعراء جماعة الديوان :

وينصف العقاد إلى حد ما فيقول عنه [٢] :

ألا أبلغا العقاد تعقيد لفظــــه
ومعناه مثل النبت ذاو مثمـــر

يحاول شعر الغرب لكن يفــــوته
ويبغى قريض العرب لكن يقصر

ويقول عن شكرى [٣] :

ولاتشكرا شكرى على حسن شعره
فذلك شعر بالبلاغة يكفـــر

فلست أرى فى شعره مايروقنى
ولكن عناوين القصيد تغـــرر

وعن المازنى يقول [٤]:

ويفضل شعر المازنى بلفظه فذلك من إلفيه أجلى وأشهر

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٧٢ .

(٢) الديوان ص ٣٨.

(٣) الديوان ص ٣٩ .

(٤) الديوان ص ٣٩.

ورب خيال منه عقد للفظه	فمعناه فى ألفاظه يتعثـر

هذه خطرات الزين المجملة وأحكامه العامة التى أطلقها على شعراء جماعة الديوان ، وهى أحكام لاتخلو من قسوة بل من اتهامات .

وهو وإن أنصف العقاد ، وجعل معانيه مثل النبت مثمرة ، فإنه لايرى فى شعر شكرى مايروقه ، ولايجد فيه كذلك مايجعله يحظى بالتقدير ، كما أنه لايجد فى شعر المازنى من ميزة إلا الألفاظ أحيانا .

محمود عماد :

ويقول عن عماد (١) :

وشعر عماد فى قوافيه خفة
على أن بعض اللفظ لايتخير
وجل معانيه تخيل شاعر
ولكنه فيها مجيد مفكـــر

وهو كما ترى يرى شعره يمتاز بخفة فى القوافى ، وزاد على ذلك تحليق الخيال ، والتأملات العميقة ، ومع هذا كله فهو يرى أن نصيب عماد من الألفاظ محدود ، لأن بعض ألفاظه غير منتقاه .

.....

---

(١) الديوان ص ٤٠ .

وبعد فلقد حكم الزين على الشعراء المجددين حكما عاما ، وفاته أن الجيد والردئ من شعرهم إنما يقاس بمدى مطابقته للشعور ، فالواحد منهم لم يكن له من هم إلا أن تطابق الصورة اللفظية شعوره، وفاته أيضا أن المفاضلة فى شعرهم من حيث الألفاظ فقط لاقيمة لها فى مذهبهم الجديد.

وفى اعتقادى أن الزين كان مطالبا ألا ينظم هؤلاء الشعراء فى سلك واحد مع الشعراء المحافظين ، وألا يقيسهم بالمقياس الذى قاس المحافظين به ، فالمجددون مدرسة جديدة تختلف اختلافا كبيرا إن لم يكن كل الاختلاف عن مدرسة المحافظين .

والذى لاشك فيه أنه كان للمجددين أبعد الأثر فى تحويل مسار الشعر العربى فى الفترة التى عاشها أحمد الزين ومايليها، وقد أحدثوا دويا هائلا فى الحياة الأدبية فى مصر ، ويمكن القول إن كثيرا من هولاء المجددين محفوظ المكانة لدى الناقدين ، ولكثير منهم شخصيته المختارة فى تاريخ الأدب العربى .

ومن المحقق أن حديث الزين عن هؤلاء الشعراء يرجع بنا إلى الوراء لنتذكر مناصرته لشعراء الديباجة ، وهنا نرانا نقف وجها لوجه أمام ملاحقته للمجددين ، واهتضامه كل مالهم من ميزات .

ومهما يكن من أمر فإن موقفه من شعراء التجديد قد شابه التحامل ، ولعل سيطرة الثقافة العربية الخالصة عليه ، وموقف شعراء التجديد من جماعة المحافظين ، وما اتسم به من تعصب[١]، لعل هذا كله هو الباعث الأكبر الذي دفع الزين للقسوة على المجددين والتحامل عليهم .

على أن هناك دليلا يؤكد كل ماقيل عن شغف الزين بشعراء الديباجة ، ويتمثل في مقال كتبه الأستاذ (م ف ع) وهو الأديب الأزهرى المعروف محمد فهمى عبد اللطيف ، وقد تحدث فيه عن نادى الحلمية ، وذكر من أعلامه : (حفنى ناصف ، ابراهيم محمد هلال ، محمد عبد المطلب ، حافظ ابراهيم ، أحمد نسيم ، أحمد الزين ...) [٢].

ثم قال [٣]:

" وأدباء الحلمية نمط واحد ، وطراز متفق ، ولهم ذوق عملت فيه الثقافة العربية أكثر من أى شئ آخر ، وهم يعشقون الديباجة

---

(١) انظر الشعر المصرى بعد شوقى ، للدكتور محمد مندور (الحلقة الأولى) ص ٨.٩ دار نهضة مصر للطبع والنشر .

(٢) مجلة الرسالة ، السنة السابعة ، عدد ٢٩٢ . الصادر فى ٢/٦/ ١٩٣٩م ص ٢٦٥ .

(٣) الرسالة ، العدد نفسه ص ٢٦٦ .

القوية السليمة ، ويطيرون بالأساليب المشرقة المونقة ، ويذكرون شوقى وحافظ وعبد المطلب بالخير والحمد، ويترحمـــون على المنفلوطى والرافعى وأضرابهما، والزين لايعدل بالزيات أديبا فى مصر بل فى الشرق، وهم يضحكون من أولئك الشعراء والأدباء المستغربين الذين يذكرون جوته وشكسبير ولايعرفون المتنبى والبحترى وشيخ المعرة .... " .

فالزين عضو فى نادى الحلمية الذي يجمع أنصار الديباجة القوية السليمة . على أنه وهو الأديب الضليع فى العربية ، الواسع الاطلاع فيها، يرى أن التجديد الحقيقى هو الذى يكون فى سبيل إحياء العربية ، والإبقاء عليها صحيحة سليمة إن لم يصل بها إلى الكمال ، اعتقادا منه بإخفاق المجددين الذين أرادوا قطع الصلة بين حاضر اللغة وماضيها .

(٢) الكتاب :

الحقيقة أن الدارس لنقد الزين يجد أن معظمه قد انصب على الشعر باعتباره أعرق أجناس الأدب العربى ، ومع ذلك فلم يغفل بعض الكتاب من إشارات له أحيانا.

والواقع أن حديثه عن الكتاب إنما هو حديث الناقد الفنان ، الذى يفهم خصائص من يتحدث عنه .

ومن يقرأ قصيدته " كتاب العصر فى مصر " [١] يقف على خواطره نحو منقوديه من بعض كتاب عصره ، وقد تحدث فى هذه القصيدة عن عشرة كتاب منهم [٢] ، وسأحاول فى هذه العجالة أن أقتصر على رأيه الذى يحتاج لمناقشة، وبخاصة فى الكتاب الذين أعرف خصائصهم فى الكتابة .

لقد مجد شوقيا ، وآثره بالنصيب الأوفى من العاطفة والفكر والخيال ، والكلام المحكم السبك فقال :-

يروض جموح العاطفات بسحره
ويوردها بالنصح أعذب منهل

له كلم يعنو لها الشعر ذلـة
تزيدك حسنا إن تزد فى التأمل

يريك من التشبيه آيات مبدع
يعيد خفى الأمر جد مفصـل

ويسجع سجع الورق غنت بأيكها
فتقرأ نثرا كالجمان المفصـل

---

(١) مجلة الهلال : مارس ١٩٢٥ ص ٥٧٤ ، ٥٧٥.

(٢) وهم : أحمد شوقى ، أنطون الجميل ، حافظ ابراهيم ، خليل مطران، خليل ثابت ، داوود بركات ، طه حسين ، عبد العزيز جاويش ، مصطفى صادق الرافعى، الآنسة مى .

وهذا فى الحقيقة مايصدقه واقع شوقى ، فقد وصل فى نثره - كما كان حاله فى الشعر - إلى ذروة الكمال الفنى ، وليس من شك فى أنه قد توفر فى منفاه على رياضة الذهن فى ثمرات القرائح العربية منثورها ومنظومها ، وحصل ثروة لم يحصلها من قبل .

أما أنطون الجميل فإنه :

بيان كما سال الفرات على الظما ترقرق عذبا من يراع الجميل
تآلفت الألفاظ فيه كأنها أخلاء ريب الدهر عنها بمعزل
تنزل عن مسترذل الحشو قوله وما عابه يوما فضول المطول
يؤلف بين الشرق والغرب نثره بلفظ يريك الصعب أى مذلل
كما أتلفت فى الشمس ألوانها التى بعدن ولكن لحن نورا لمجتلى

وهذا عين الحق فى أنطون الجميل ، فأسلوبه شعرى فى ألفاظه، وصوره وأخيلته ، وهو يصدر فى أسلوب كتابته عن طبيعته الخالصة التى لاتعرف التعصب ولا التميز.

ويقول عن حافظ إبراهيم :

تكلفه للفظ صير نسجــــه   قليل رواء مضجرا فى الترسل
يقصر فى وصف المواقف فكره   ترى وصفه فى حاجة لمكمـــل
ويحسن أحيانا فيعلو بنثره   من الحسن والإتقان أرفع منزل

ومجمل رأيه أن حافظا يجمع فى كتابته بين الرداءة والجودة ، فهو إذا تهيأ للنثر يعمد إلى التكلف تارة ، وقد يعلو بنثره ويبهرنا باللفظ المونق والأسلوب المشرق .

وهذا النقد غريب إذا نظرنا إلى آثار حافظ النثرية، وأين قول الزين مما نعرفه عن حافظ من أنه قد انتفع بحلاوة حديثه أجزل النفع؟ بل أين قوله من أقوال الدارسين لآثار حافظ، الذين أفادوا بأنه كان فى حديثه أشعر منه فى قصيده، وأن له مكانته فى الشعر والنثر، وهو فيهما من الأئمة المقدمين [1].

وقد أشار إلى قصور الرافعى فقال :

تكلفه الإحسان شوه حسنـــه   وحمل منه الفهم مالم يحمـــل
يسطر ألغازا إذا رمت حلهـــا   تخبطت فى ليل من الشك أليل .

---

(١) انظر حافظ ابرهيم ، بقلم زكى مبارك ، إعداد وتقديم كريمة زكى مبارك ص ١١٣-١١٥. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م (المكتبة الثقافية ٣٥٠) .

فإن تك يوما قد سمعت قريضه

فأسلوبه فى النثر ليس بأمثـــل

إنه يقول إن أسلوب الرافعى فى الكتابة غامض ، وأنه يسطر ألغازا يصعب فهمهما ، ويخلص من ذلك كله إلى أن أسلوبه فى النثر ليس بأمثل .

والحق أن الزين قد جانبه الصواب فى قوله ، فلم يضع الكاتب الكبير موضعه اللائق به ، إذ الواقع أن هذه ليست دائما طريقته فى الكتابة ، فالرافعى كاتب من الطراز الأول ، حمل لواء الأصالة فى الأدب ، ورفع راية البلاغة فيه، وهو أصيل مبتكر ، مولع بالتوليد العقلى ، وقد استقام فى الكتابة - وبخاصة كتابته الذاتية فى موضوعات الوصف ، أو التأمل والتجارب الوجدانية -على طريقة تفصح عن قوة فنه وعمق تفكيره . [١]

وأصدق مايقال عن الرافعى ، أن أسلوبه يدل عليه ولو اختفى اسمه ، فأسلوبه يمثل فى أدبه بعمقه وغموضه ، وغزارة مادته ، وتصرفه البارع فى اللغة، وهو فى كل حالاته يرى الجمال فى العمق،ومايحتاج القارئ فى فهمه إلى إطالة النظر وإدامة الفكر [٢]

......

---

(١) انظر على سبيل المثال : حديث القمر ، السحاب الأحمر ، رسائل الأحزان.

(٢) انظر وحى القلم بأجزائه الثلاثة.

وبعد فهذه صورة لآراء الزين في معاصريه من شعراء وكتاب، وهي في مجموعها ترينا أن الزين قد زاحم النقاد وشاركهم في كل ماخاضوا فيه ، وفضلا عن ذلك فهي تشيد بفنه ، وتعلى من قيمته الأدبية ، وتتخذ له مكان الصدارة بين الشعراء.

وإني لأرجو أن أكون قد كشفت بهذه الدراسة عن شخصية الزين ، وحددت مكانه في مجالي الشعر والنقد ، وفتحت الطريق أمام الباحثين ليعطوه حقه من الدراسة والبحث .

•••••••

الخاتمة

هذه هي دراستي المتكاملة عن الأديب - أحمد الزين .

وقد عرضت فيها للتيارات السياسية والاجتماعية والفكرية التي كان لها أثر في شعره، وأعطيت تصورا عاما لحياته ونشأته ، ومكانته بين شعراء عصره، ملتمسا صدى كل ذلك في شعره .

والحقيقة أنني تتبعت موضوعات شعره ، واهتديت لتقسيمها إلى اتجاهين :

أحدهما اتجاه تقليدي ذاتي، ويشمل شعر الغزل ، والوصف ، والمدح ، والإخوانيات ، والرثاء ، والشعر الأخلاقي .

وقد رأينا الشاعر في هذه الموضوعات يتحدث عن ذات نفسه، ويرتبط بإحساسه ومشاعره . وهنا نقاط يجدر بالباحث أن يشير إليها وهي أن مقطوعات الزين الغزلية تنهض دليلا على إعطاء صورة كاملة عن عواطفه ووجدانه، وأن شعره الوصفي يرينا رغبته في استقصاء الموضوع ودقته في التفصيل والتصوير .

يضاف إلى ذلك أن ماورد له في باب المديح إنما يختلف كل الاختلاف عن ذلك اللون الذي يقصد به الشعراء التكسب والتزلف، وما ورد له في باب الإخوانيات من تسجيل دقيق لحياته وشخصيته إنما يؤكد ارتقاء هذا اللون من الشعر عنده .

ويأتي بعد ذلك شعر الرثاء الذي يخوض فيه معارك الفكر التي كانت مشتعلة في عصره .

وثانيهما اتجاه تجديدى موضوعى، ويشمل الشعر الاجتماعى، والشعر السياسى ، والشعر الذى تعرض فيه لنقد الكتب .

وقد بينت فى هذا الاتجاه أن الشاعر كان يعيش فى عصره ، ولم يكن يغمض العين ، بل كان يمتد إلى ماحوله ، ويعرض رأيه فى القضايا الاجتماعية والسياسية والفكرية التى برزت فى تلك الفترة.

وفى تعرفنا على الظواهر والملامح الفنية الخاصة بشعر الزين، ذكرنا أن الشعر لم يكن غاية عنده ، وإنما كان لونا من ألوان الإبداع الفنى الكامن فى طبيعته الخصبة ، ونبهنا إلى أن إنتاجه الشعرى يوقفنا على مقوماته الفنية بصورة مكتملة ، وتتبعنا المنابع التى استمد منها معانيه وصوره ، ومابدا فى شعره من تطور فنى ، حيث تميز بحرارة العاطفة وصدق الانفعال .

وفى دراستنا لتراث الزين النقدى وما كان له فى مجال النقد الأدبى من آراء واجتهادات ، رأينا كيف كان له السبق فى توجيه الأذهان إلى نمط جديد من النقد وهو النقد الشعرى ، ثم وضحنا كيف ساعده إحساسه الفياض على أن يجمع فى هذا الشعر بين الطبيعة الفنية المرهفة والنظرة النقدية المحكمة .

كما تعرفنا على مشاركاته فى تفسير العمل الأدبى ، وذكرنا أن نظرته لعناصر العمل الأدبى وجزئياته ليست على أساس جمالها فى ذاتها، ولكن لما يتطلبه موقعها من جملة العمل الأدبى.

وحرصنا على عرض آرائه في أدباء عصره ، كما حرصنا علي مناقشة هذه الآراء، وقد انتفعنا بذلك في دراسة رأيه في التجديد الشعرى ، كما بينا أن الزين قد انتفع بما لديه من طبيعة فنية وحس نقدى ، فطالب بأن يتحكم الناقد في نوازع نفسه وأهوائها، وأن يحكم على العمل الأدبى بحيدة وإنصاف ، ويضعه في موضعه الجدير به .

وقد تأكد لي بعد النظر في محاولات الزين وآرائه النقدية أنها تتردد بين التقليد والأصالة ، كما تأكد لي أنه كان وفيا للقديم والقدماء ، وأن روايته للشعر العربي، وازدحام حافظته بروائعه في أمجد عصوره ، قد وجهته في النقد الوجهة القديمة ، ولذلك كان النموذج الأعلى في النقد عنده النموذج القديم ، وقد دفعه ذلك إلى التحامل على المجددين والمغالاة في الحكم عليهم .

وفي الحق أن الزين على الرغم من تحامله على المجـددين ، فإنه لم يرفض التجديد جملة ، ولم يغلق الباب عليه ، ولكنه يرفض التجديد من ناحية الشكل ، والخروج على عمود الشعر العربي ، وهذا يعني أنه يريد التجديد تجديدا متأنيا ، قائما على أسس سليمة أصيلة ، تعتمد على ربط الماضي بالحاضر ، لا على اعتناق نظريات ملفقة من مذاهب شتى .

والنتيجة المنطقية لكل ماسبق أن نرى ما كان عليه الزين من أصالة ، وشاعرية صادقة ، وحس نقدى قوى .

فالزين يتمتع بدون شك بعبقرية فنية تبين عن خصائصه وآرائه، وتكشف عن إسهاماته فى توجيه الحركة الأدبية ، وما أظن القارئ إلا موافقا لى على أنه لو لم يصادف تلك الحياة الصعبة القاسية منذ نعومة أظفاره لكان له شأن غير هذا الشأن .

هذا وأرجو أن أكون قد وفقت فى بعض ما إليه قصدت ، والله الموفق وهو الهادى إلى سواء السبيل ..

أهم المصادر والمراجع

أولا : الكتب :

١- الأدب في عالم متغير ، الدكتور شكرى عياد . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة ١٩٧١م.

٢- الأدب والحياة في المجتمع المصرى المعاصر، الدكتور ماهر حسن فهمى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٤م.

٣- أصول النقد الأدبى، الأستاذ أحمد الشايب ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثامنة ١٩٧٣م.

٤- تاريخ الأدب العربي، الأستاذ أحمد حسن الزيات ، مطبعة الرسالة ، الطبعة الثالثة والعشرون .

٥- التجديد في شعر خليل مطران ، الدكتور سعيد حسين منصور، مطابع عابدين ، الإسكندرية ، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م ، نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر .

٦- التراث النقدى قبل مدرسة الجيل الجديد، الأستاذ عبد الحى دياب ، نشر دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م.

٧- تطور النقد العربى الحديث فى مصر ، الدكتور عبد العزيز الدسوقى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٧م.

٨- ثورة سنة ١٩١٩ ، الأستاذ عبد الرحمن الرافعى :

- الجزء الأول . طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية ١٣٧٤هـ -١٩٥٥م.
- الجزء الثانى. طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية ١٣٧٤هـ -١٩٥٥م.

٩- حافظ إبراهيم ، بقلم زكى مبارك، إعداد وتقديم كريمة زكى مبارك، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م (المكتبة الثقافية ٣٥٠).

١٠- حافظ إبراهيم شاعر النيل، الدكتور عبد الحميد سند الجندى. دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ١٩٨١م (مكتبة الدراسات الأدبية) .

١١- حياة شوقى ، أحمد محفوظ ، مطبعة مصر ، بدون تاريخ .

١٢- دراسات أدبية ، الدكتور محمد رجب البيومى :

- الجزء الأول.مطبعة السعادة ، القاهرة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م.

١٣- دراسات فى الأدب العربى الحديث ومدارسه ، الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، نشر مكتبة الأزهر ١٩٧٤م.

١٤- ديوان أحمد الزين ، تبويب وترتيب وتصحيح الأستاذ عبد الغنى المنشاوى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٧٢ هـ ١٩٥٢م.

١٥- ديوان إسماعيل صبرى باشا ، تصحيح وضبط وشرح وترتيب الأستاذ أحمد الزين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨م.

١٦- ديوان البارودى ، تحقيق الأستاذ على الجارم ، والأستاذ محمد شفيق معروف :

- الجزء الأول . دار المعارف بمصر ١٣٩١ هـ ١٩٧١م.

١٧- شاعر العروبة والإسلام أحمد محرم ، الأستاذ محمد إبراهيم الجيوشى. مطبعة السعادة ، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ ١٩٦١م، نشر مكتبة دار العروبة ، القاهرة .

١٨- شعر شوقى فى المناسبات فى ميزان النقد ، الدكتور طلعت صبح السيد ، التركى للكمبيوتر وطباعة الأوفيست ، طنطا ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ١٩٩٢م.

١٩- الشعر العربى المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، الدكتور عز الدين إسماعيل ، دار العودة ودار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٢م.

٢٠- الشعر المصرى بعد شوقى ، الدكتور محمد مندور :
- الحلقة الأولى . دار نهضة مصر للطبع والنشر .

٢١- شوقي شاعر العصر الحديث ، الدكتور شوقى ضيف ، دار المعارف بمصر ، الطبعة السابعة ١٩٧٧م (مكتبة الدراسات الأدبية).

٢٢- الصورة الأدبية ، الأستاذ مصطفى ناصف ، مكتبة مصر .

٢٣- عباس العقاد ناقدا ، الأستاذ عبد الحى دياب ، الدارالقومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٨٥٥ هـ ١٩٦٦م.

٢٤- فى الأدب الحديث ، الأستاذ عمر الدسوقى :
- الجزء الثانى . مطبعة الرسالة ،القاهرة الطبعة الثالثة ١٩٥٩م ، نشر دار الفكر العربى ، ودار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة السادسة .

٢٥- فى أعقاب الثورة المصرية، الأستاذ عبد الرحمن الرافعى :
- الجزء الأول ، طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ١٣٧٨هـ ١٩٥٩م.
- الجزء الثانى ، مطبعة الفكرة القاهرة ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولي ١٣٦٩هـ ١٩٤٩م.

٢٦- فى عالم المكفوفين ، الدكتور أحمد الشرباصى ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٧٥ هـ ١٩٥٦م.

٢٧- فى النقد الأدبى ، للدكتور شوقى ضيف ، طبعة دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ١٩٦٢م (مكتبة الدراسات الأدبية).

٢٨- قضايا النقد الأدبى الحديث ، الدكتور محمد السعدى فرهود ، دار الطباعة المحمدية ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م.

٢٩- المتنبى وشوقى ، الأستاذ عباس حسن ، طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ١٣٧٠هـ ١٩٥١م.

٣٠- مختارات البارودى ، تصحيح ياقوت المرسى :

- الجزء الرابع ، طبع مطبعة الجريدة ، مصر ١٣٢٩ هـ .

٣١- المدخل إلى النقد الأدبى الحديث ، الدكتور محمد غنيمى هلال، الطبعة الثانية .

٣٢- المعارضة فى شعر شوقى ، الدكتور إبراهيم عوضين ، مطبعة السعادة ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

٣٣- نظرات أدبية ، الدكتور محمد رجب البيومى :

- الجزء الثالث، مطبعة زهران ، القاهرة ١٣٩١هـ ١٩٧١م.

٣٤- النقد الأدبى ، الأستاذ أحمد أمين :

- الجزء الأول، ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة ١٩٧٢م.

٣٥- الوساطة بين المتنبى وخصومه ، للقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى ، تحقيق وشرح الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم والأستاذ علي محمد البجاوى ، مطبعة عيسى البابى الحلبى، وشركاه .

ثانيا : الصحف والمجلات :

٣٦- أبولو (مجلة) يوليو ١٩٣٣م.

٣٧- الأزهر (مجلة) محرم ١٣٦٧هـ (المجلد التاسع عشر).

٣٨- الثقافة (مجلة) :

- عدد ٥٩ الصادر فى ١٣/٢/١٩٤٠م.
- عدد ٦٣ " " ١٢/٣/١٩٤٠م.
- عدد ٣٢٤ " " ١٣/٣/١٩٤٥م.

٣٩- الرسالة (مجلة)

- عدد ١١٤ الصادر فى ٩ /٩ /١٩٣٥م.
- عدد ١١٨ الصادر فى ٧ /١٠/١٩٣٥م.
- عدد ١٢٠ الصادر فى ٢١/١٠/١٩٣٥م.
- عدد ١٢١ الصادر فى ٢٨/١٠/١٩٣٥م.
- عدد ١٢٤ الصادر فى ١٨/١١/١٩٣٥م.
- عدد ١٢٩ الصادر فى ٢٣/١٢/١٩٣٥م.
- عدد ١٣٠ الصادر فى ٣٠/١٢/١٩٣٥م.
- عدد ٢٢٥ الصادر فى ٢٥/١٠/١٩٣٧م.

* عدد ٢٨٨ الصادر فى ٩ /١ /١٩٣٩م.
* عدد ٢٩٢ الصادر فى ٦ /٢ / ١٩٣٩م.
* عدد ٨٠١ الصادر فى ٨ /١٩٤٨/١١م.

٤٠- مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة ، العدد الثالث ، جمادى الأولى ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م.

٤١- مجلة الهلال ، مارس ١٩٢٥.

فهرس الموضوعات

رقم الإيداع فى دار الكتب المصرية

١٩٩٢ / ٣٦١٤